مادة الأخلاق الإسلامية وآداب المهنة

المحاضرة الأولى : تعريف الخلق وطبيعته ومكانته في الإسلام

اولاً : تعريف الخُلُق :

الخُلُق لغة : بضم الخاء واللام هو [الطبع والسجية] أي ما جبل عليه الإنسان من الطبع .

وجمعه أخلاق وهو – أي الخلق – يمثل صورة الإنسان الباطنة ، التي هي نفسه التي بين جنبيه وأوصافها ومعانيها المختصة بها. كما أن الخلق يمثل صورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها .

أو بتعبير آخر : الجانب المادي في شخصية الإنسان .

الخُلُق اصطلاحاً : ❖ حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية ، وبهذا المعنى يكون وصفاً للنفس ، فتقول فلان خُلقه عالٍ ، أي أنه يتصف في نفسه بصفة تجعل الأفعال الصادرة عنه محمودة من غير تكلف .

وكذلك حين نقول : فلان خلقه سيء ، أي أنه يتصف في نفسه بصفة تجعل الأفعال الصادرة عنه مذمومة من غير تكلف .

وبهذا المعنى ورد قول الله سبحانه في مدح نبيه صلى الله عليه وسلم [وانك لعلى خلق عظيم]

- [الحال] : الهيئة والصفة للنفس الإنسانية .
- [راسخة] : أي ثابتة بعمق ، وهو ما يعني أن الأفعال تتكرر من صاحبها على نسق واحد حتى تصبح عادة مستقرة لديه ومن ثم كان من ينفق المال مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على المحتاجين لا يوصف بخلق السخاء و الجود بل لا بد من تكرره منه حيث يصبح عادة له .

❖ وقد يطلق الخلق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجودة في هذا العالم على الوجه الأكمل . وبهذا المعنى ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم [إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق] ، فالصدق والسخاء والرحمة والعدل وحب الخير للناس كلها أخلاق حميدة وفضائل مسلمة يسعى عقلاء الناس للتحلي بها وتربية أبنائهم عليها .

- [من غير حاجة إلى فكر وروية] : أي من غير من حاجة إلى تأمل واجتهاد وتكوين قناعة عقلية للقيام به. وكذلك من غير تكلفٍ أو تصنعٍ أو مجاهدة نفس، بل بسهولة ويسر وبطريقة تلقائية .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: [الخَلْق والخُلُق عبارتان مستعملتان معاً، يقال: فلانٌ حسنُ الخُلُق والخَلْق] . أي : حسن الباطن والظاهر. فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة . وذلك لأن الإنسان مركبٌ من جسدٍ مدرك بالبصر، ومن روحٍ ونفسٍ مدركٍ بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئةٌ وصورةٌ: إما قبيحةٌ، وإما جميلةٌ. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه، إذ قال تعالى: {إني خالقٌ بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد" .

ثانيا : موضوع علم الأخلاق :

يبحث علم الأخلاق في الأحكام القيمية المتعلقة بالأعمال التي توصف بالخير أو الشر، أو توصف بالحسن أو القبح، وهذا ما يميز الأخلاق عن الغرائز والدوافع ...

- لأن الغرائز والدوافع : هي الحاجات التي فطر الله الإنسان عليها كحاجته للأكل والشرب والنكاح والنوم، وهي أشياء لا تستوجب لصاحبها مدحًا ولا ذمًّا، ولا ثوابًا ولا عقابًا؛ فإن مُدح الإنسان أو ذُم على شيء من ذلك، كان المقصود ليس نفس الفعل، وإنما طريقة صاحبه في تلبية تلك الحاجة، أو إشباع تلك الرغبة. فمن يأكل لا يُمدح ولا يُذم على نفس فعل الأكل، وإنما يُمدح على طريقته في الأكل فإذا أكل مما يليه وبهدوءٍ، ومضغ الطعام جيدًا، وبدأ باسم الله، وانتهى بحمد الله، حُمِد على فعله هذا. وإذا أكل بشراهة، وأدخل اللقمة على اللقمة، وجالت يده في القصعة؛ ذُمَّ على فعله ذاك .

ثالثاً : أقسام الخلق :

يمكن تقسيم الخلق إلى قسمين اثنين باعتبارين مختلفين :

١ – الخلق باعتبار الفطرة والاكتساب :

أ – أخلاق فطرية : جُبِلَ الإنسانُ عليها أي هي هبة ومنحة من الله تعالى، وليس للإنسان أي دور في اكتسابها.

ومثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشج عبد القيس المنذر بن عائذ وكان وافد عبد القيس وقائدهم ورئيسهم – وعبد القيس قبيلة – (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة) فقال: أشيءٌ جُبِلتُ عليه، أم شيءٌ حدث لي؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (بل شيء جبلت عليه). فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحبه الله ورسوله".

قال النووي: الحلم هو العقل. والأناة هي التثبت وترك العجلة.

وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا إلى المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقربه النبي صلى الله عليه وسلم وأجلسه إلى جانبه.

ب – أخلاق مكتسبة : يسعى الإنسان في تحصيلها بالتدريب والممارسة العملية، ومن خلال مجاهدته لنفسه. ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيح: (العلم بالتعلم) وقوله: "وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ الله" .

٢ – الخلق باعتبار القبول وعدمه شرعاً :

أ – خلق محمود : وهو الأدب والفضيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلا وشرعا.

ب – خلق مذموم : وهو سوء الأدب والرذيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعا.

- ولقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى فضائل الأخلاق، حتى تكاد تكون هي الغاية الرئيسة من بعثته صلى الله عليه وسلم ويقول في ذلك: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق". وفي حديث آخر قال أسامة بن شريك: كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله تعالى؟ قال: "أحسنهم خلقًا"

ويُعدُّ حسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالا للمرء إلى الفوز بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والظفر بقربه يوم القيامة. يقول عليه الصلاة والسلام: "إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا".

رابعاً : مكانه الأخلاق في الإسلام :

يقسم كثير من الباحثين المعاصرين ما جاء به الإسلام من تشريعات و أحكام إلى شعب أربعة هي : [عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، و أخلاق] . وربما قسمها بعضهم إلى ثلاث شعب [دمجوا بين العبادات والمعاملات فقالوا : عقيدة ، وشريعة و أخلاق] . وهذا التقسيم إنما يصح بالنظر إلى الجهة الغالبة في تلك القضايا والمسائل التي تناولتها نصوص الشرع، وإلا فعند التأمل وإنعام النظر نجد أن هذه الشعب الثلاث أو الأربع لا تنفك عن بعضها، وأنها متداخلة متعاضدة كالبنيان يشد بعضها بعضاً. فالأخلاق التي يرد ذكرها في آخر الشعب لا تنفك عن العقيدة والعبادات والمعاملات، وهي في نفس درجاتها ومستوياتها من الأهمية والطلب. بل إنها تمثل جوهر رسالة الإسلام ولب شريعتها، بكل ما تحمله كلمة الأخلاق من عمق وشمول.

وبيان ذلك من وجوه :

- حث الإسلام على الفضائل وحذر من الرذائل في نصوص لا تحصى من القرآن والسنة . ووصل فيها إلى أعلى درجات الإلزام ، ورتب عليها أعظم مراتب الجزاء ، ثواباً وعقاباً ، في الدنيا و الآخرة . فالصدق يهدي إلى البر . والبر يهدي إلى الجنة . والكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار . وامرأة دخلت النار في هره حبستها ولاهي أطعمتها ولاهي دعتها تأكل من خشاش الأرض . وبغي دخلت الجنة في كلب سقته والمرء يبلغ بحسن خلقة درجة الصائم لا يفطر والقائم لا يفتر ...
- بلغ من عناية الإسلام بالأخلاق أن الله سبحانه وتعالى حين أثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم اختصار الثناء عليه من جهة أخلاقه ليعملنا انه لا ابلغ ولا ارفع من هذه الصفة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾
- جعل الرسول صلى الله عله وسلم الغاية والهدف من رسالته إتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فقال فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : [إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق]

۞ في باب العقائد نجد أن الإسلام يضفي على التوحيد صيغة خلقية فيعتبره من باب [العدل] وهو فضيلة خلقية كما يعتبر الشرك من باب [الظلم] وهو رذيلة خلقية ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ ذاك لأنه وضع للعبادة في غير موضعها وتوجه بها إلى من لا يستحقها . بل اعتبر القرآن الكريم الكفر بكل أنواعه ظلما ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾

۞ والعبادات الإسلامية ذات أهداف أخلاقية جلية منصوص عليها في كتاب الله :

- الصلاة وهي العبادة الأهم في حياة المسلم لها وظيفة سامية في تكوين الوازع الديني وتربية الضمير الديني على الابتعاد عن الرذائل . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ... ﴿٤٥﴾ ﴾ وهي كذلك تعين المسلم على مواجهة متاعب الحياة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ... ﴿١٥٣﴾ ﴾
- الزكاة وهي العبادة التي تلي الصلاة في الأهمية وسيلة لتطهير وتزكية النفس . وهما من الأهمية بمكان في عالم الأخلاق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴿١٠٣﴾ ﴾
- الصيام إنما يقصد به تدريب النفس على الكف عن شهواتها و إدخال صاحبها في سلك المتقين وهي جماع الأخلاق الإسلامية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾
- والحج تدريب المسلم على التطهر والتجرد والترفع عن زخارف الحياة . وضبط الجوارح قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ ... ﴿١٩٧﴾ ﴾
- في مجال المال والاقتصاد كان للأخلاق حضورها سواء في ميدان الانتاج أم التداول أم التوزيع أم الاستهلاك .
- في مجال الانتاج يجب أن تكون السلعة المنتجة نافعة مفيدة. و إما ما كان ضاراً بالناس أو مؤذياً لهم فلا يجوز إنتاجه مهما كان سيجلب لصاحبة من إرباح مادية. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ ... ﴿٢١٩﴾ ﴾
- في مجال التبادل يحرم الإسلام الاحتكار والغش وكتمان العيب . وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب . واستغلال حاجة الآخرين أو استغلال بساطتهم أو طيشهم لخداعهم ففي الحديث الصحيح [لا يحتكر إلا خاطئ] أي آثم ، وفيه أيضاً : [من غشنا فليس منا] و فيه [الحلف الكاذب منفقة للسلعة وممحقة للبركة ، والتملك لا يجوز للمسلم أن يمتلك ثروة من طريق الخبيث ولا حل له أن يأخذ ما ليس له بحق ولا بالعدوان ولا بالحيلة . كما لا يحل للمسلم بطريق خبيث. لا يحل له تنمية ملكة

بطريق خبيث كذلك .لهذا حرم الله الربا والميسر واكل أموال الناس بالباطل والظلم بكل صورة ، والضرر والضرار بكل ألوانه .

- في مجال التوزيع أمر بالعدل بين الأولاد في العطية من الوالدين كما وضع نظاماً دقيقا في توزيع الميراث والصدقات المفروضة والغنائم والفيء والخراج والجزية وعطايا بيت المال فقال صلى الله عليه وسلم [اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم] .
- في مجال الاستهلاك والإنفاق أمر الإسلام بالاعتدال والتوسط والابتعاد عن الترف والتبذير والإسراف والتقتير قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ومن هذا الباب تحريمه لاستعمال أواني الذهب والفضة مطلقاً وكذلك تحريمه لبس الذهب والحرير للرجال
- في مجال السياسة ربط الإسلام السياسة بالأخلاق فرفض كل الأساليب القذرة للوصول إلى الغايات مهما كانت تلك الغايات نبيلة ورفض مبدأ [الغاية تبرر الوسيلة] وجعله سياسته مبنية على الصدق والرحمة والعدل و الإنصاف والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعقوبات ، وفرض احترام الاتفاقات والوفاء بالعهود قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ ... ﴿٥٨﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ... ﴿١٥٢﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ... ﴿٨﴾ ﴾
- في مجال الحرب لم تنفصل سياسة الإسلام عن الأخلاق ، بل بقيت كما في السلم مبنية على العدل والرحمة والصدق والوفاء . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ وجعل الغاية من الحرب إعلاء كلمة الله ، والانتصار للحق والخير . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ ... ﴿٧٦﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ وفي السنة النوبية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي أصحابه إذا توجهوا للقتال بقوله [اغزوا بسم الله ، وفي سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، واغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً] وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم [ألا يقتلوا شيخاً ، ولا صبيا ولا امرأة وألا يقطعوا شجرا ، ولا يهدموا بناء] .

۞ وهكذا فما من مجال من مجالات الحياة يعيشها المسلم بمعزل عن القيم الأخلاقية والضوابط السلوكية ، وما هذا الذي ذكرناه إلا غيض من فيض .

المحاضرة الثانية : أسس الأخلاق في الإسلام

يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على ثلاثة أسس هي:

- الأساس الإعتقادي
- والأساس الواقعي والعلمي
- ومراعاة الطبيعة الإنسانية

أولاً : الأساس الإعتقادي : يتمثل الأساس الإعتقادي للإخلاق الإسلامية في ثلاثة أركان هي :

الركن الأول : الإيمان بوجود الله تعالى الذي خلق الكون وخلق الإنسان وخلق الموت والحياة وهو بكل شيء من الماضي والحاضر والمستقبل عليم، حتى إنه ليعلم ما يدور في خلجات الأنفس من خير أو شر كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾

الركن الثاني : الإيمان بأن الله عز وجل منذ أن خلق الإنسان فوق هذه الأرض عرَّفه بذاته العلية، وعرَّفه بطريق الخير والشر، وطريق الحق والباطل، من خلال رسالاتٍ أوحى بها إلى من اختارهم من أنبيائه ورسله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ كما أن الله سبحانه خلق في الإنسان القوة والقدرة على إدراك تلك الحقائق، ونصب الدلائل الكثيرة على ذلك في هذه الطبيعة، يدركها من تأمل فيها، وبحث عنها، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ...﴿٥٣﴾ ﴾ ومن ثَمَّ كلفهم الله سبحانه بإتباع الحق والخير، واجتناب الشر والباطل، وبين لهم واجباتهم تجاه خالقهم، وتجاه المخلوقات الأخرى، كما بين لهم المحرمات التي يجب عليهم اجتنابها.

الركن الثالث : الإيمان بوجود الحياة بعد الموت، وهذه الحياة إما نعيم وإما جحيم؛ فالأولى يكافأ بها من اتبع الحق، وفعل الخير، واجتنب الشر وما حرمه الله تعالى عليه، والثانية يجازى بها من اتبع الباطل وارتكب ما حرم الله. وهذه وتلك تكون بعد حساب دقيق بين يدي الخالق عز وجل يوم القيامة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

❖ إذن؛ فهذه الحياة ميدان عمل واختبار للإنسان لمن يريد الخير، ولمن يريد الشر؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ والحياة الأخرى للحساب والجزاء؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

أهمية الأساس الإعتقادي :

- هذا الأساس الإعتقادي بهذا المفهوم – المعتمد على الإيمان بالله وبالرسالات السماوية وبالحياة بعد الموت والحساب - في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في ديننا، وهو السند الذي يُعتمدُ عليه في إقامة النظام الخلقي الإسلامي، وفي عملية الالتزام به .
- وبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها، وتأثيرها في الإنسان، بل يستحيل أن تطبق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن، من غير أن يكون لهذا الأساس في قلوب البشر مكاناً راسخاً، ومن غير أن يؤمنوا به إيماناً صادقاً
- وليس هذا أساسٌ للسلوك الأخلاقي فحسب، بل كذلك للحياة؛ إذ لا معنى للحياة –في الحقيقة- دون وجود هذا الأساس ودون الاعتماد عليه.
- إن الوجوديين وأمثالهم من الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يعانون من قلق وحيرة واضطراب في أعماق قلوبهم وفي سلوكهم وتفكيرهم، ثم يسعون إلى تعميمه على البشر كلهم بدعوى أن هذا القلق والحيرة والاضطراب من مستلزمات الوجود الإنساني، وهو ادعاءٌ باطلٌ لا يستند إلى حجة أو دليل أو شبه دليل، وإن أبسط ما يرده أننا نحن المسلمين - ولله الحمد - لا نعاني من تلك الظاهرة، بل نشعر بالطمأنينة والرضا.
- والسر في ذلك هو أن في طبيعة الحياة الإنسانية جانباً لا يملؤه إلا الإيمان؛ فمن انعدم لديه الإيمان عانى من الفراغ في هذا الجانب، فأحس بالقلق والاضطراب.
- والأمر الذي يؤكد صحة ما نقوله هو أن هؤلاء الناس لا يعانون فقراً أو حرماناً أو مرضاً، وإنما يعانون من فقدان الطمأنينة التي تجلبها العقيدة الصحيحة والإيمان القويم.
- إن اعتماد الأخلاق على أساس من العقيدة يضفي عليها طابعاً مميزاً من القداسة، وتدفع بالإنسان إلى فعل الخير، والابتعاد عن الشر، وتجعله صاحب ضمير حي، وقد اعترف بهذا الدكتور ألكسيس كاريل حيث يقول: "الفكرة المجردة لا تصبح عاملاً فعالاً إلا إذا تضمنت عنصراً دينياً، وهذا هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد تستحيل معه المقارنة، ولذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية" .

ثانياً : الأساس الواقعي والعلمي : إذا كان الإسلام قد دعا إلى المثالية والسمو الروحي، وذم الذين أخلدوا إلى الأرض وشهواتها، فإن دعوته إلى المثالية كانت واقعية، وكانت وسطاً بين نظرتين متطرفتين هما:

أولاً : دعوات روحية تدعو الإنسان إلى محاربة الطبيعة، وعدم الاستسلام لها، مهما جابهته ضغوطات الحياة ومهما كانت شدتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان، وسموه الروحي وخلاصه من آلام الحياة إنما تتم بمحاربة الطبيعة، والتسامي عليها.

ثانياً : دعوات للطبيعيين الذين أخلدوا إلى الأرض، وقدموا الطاعة لدواعي هذا الركون والخضوع للأرض ومتطلباتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان إنما تتم باستجابته لمتطلبات الطبيعة.

فجاء موقف الإسلام نحو الطبيعة واقعياً وسطاً معتدلاً بين هاتين النظرتين وقد تجلى ذلك في :

١- دعوته إلى الاستعلاء على الطبيعة وعدم الاستسلام لها؛ وذلك بدعوته الإنسان إلى أن يكون سيداً على الطبيعة ، فيسخر مواردها في عمران الأرض ، ونفع العباد ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ... ﴿٦١﴾ ﴾ وأن يكون كذلك سيداً على نفسه؛ فيضبط ميوله ورغباته ويوجهها وفقاً للمثل العليا التي جاء بها الإسلام .

٢- دعوته إلى التأقلم والانسجام مع الطبيعة ومع الواقع وعدم التصادم معها ، وذلك عن طريق اتخاذ قواعد للسلوك تنسجم تمام الانسجام مع القوانين الأساسية للحياة البشرية ، وهي القوانين التي يتجلى الأساس العلمي الذي أقام الإسلام نظامه الأخلاقي عليه وهي :

❶ قانون المحافظة على الحياة :

- ❖ اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها سلوكاً أخلاقياً، وكل سلوك يضاد الحياة أو يعوقها بصورة من الصور يعد سلوكاً غير أخلاقي.
- ❖ ومن هنا كان القتل حراماً أخلاقياً، وكذا تهديد الآخرين وإخافتهم، والتحاسد والتباغض والتدابر حراماً أخلاقياً.
- ❖ وكان من الواجب احترام الناس، والمحافظة على أرواحهم وأعراضهم ودمائهم، والسعي لنفعهم ما أمكن حفاظاً على الحياة.

❷ وقانون تكاثر النوع الإنساني :

اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى إبقاء النوع وتحسينه سلوكاً أخلاقياً راقياً، فشرع الزواج وحث عليه، ونهى عن التبتل أو الرهبانية كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" .

- ❖ كما حث على حسن اختيار الزوجة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم).
- ❖ وحث الآباء على تزويج بناتهم من أناس صالحين، فقال صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلاَّ تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد).
- ❖ ثم إن الإسلام حرم كل سلوك من شأنه أن يعوق استمرار التناسل؛ لأنه يعد منعاً لاستمرار النوع، ومن ثمَّ فقد حرم الإسلام الخِصاء، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله، ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك".
- ❖ فالإسلام يعد الخروج على القوانين الطبيعية والأخلاقية تعدياً وخروجاً عن جادة الحياة المستقيمة.

❸ وقانون الارتقاء العقلي والروحي :

- ❖ اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى السعادة والإقبال على الحياة بمحبة وانشراح وينمي العقل ويحافظ عليه سلوكاً أخلاقياً راقياً، وكل سلوك يضاد ذلك كأن يجعل الإنسان يعيش في عزلة من الناس متشائماً قلقاً، أو يضر بعقله ويجعله مريضاً أو متخلفاً مستسلماً للجهل والخرافات سلوكاً غير أخلاقي.
- ❖ ومن ثم فقد حث على العلم وصلة الرحم ومحبة الآخرين والرحمة بهم، والرضا بقضاء الله وقدره، كما في الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وفي حديث آخر: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له".
- ❖ كما حرم الانتحار، أو تعاطي المسكرات أو المخدرات، أو ما من شأنه أن يضر بصحة الإنسان البدنية أو بعقله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ... ﴿٢١٩﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ ومثلها في النصوص كثير جداً.

ثالثاً : مراعاة الطبيعة الإنسانية :

- الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روح، وجسد، وعقل، وقلب، ومشاعر، وعواطف. وأن هناك صراعاً بين طبيعة الإنسان وتكوينه المادي الذي يميل إلى الأرض والتراب الذي خلق منه، فيستجيب للأهواء والشهوات وينساق لها، وروحه العلوية التي هي من نفخ الإله، وتدعوه إلى السمو والرقي والمثالية.
- والمطلوب هو التنسيق بين هاتين الطبيعتين في الإنسان، وتوجيهه إلى السلوك الذي يليق به بصفته أشرف مخلوق على ظهر الأرض، وصاحب رسالة خُلِق من أجلها في هذه الدنيا.
- والمرجع في هذا التنسيق هو الشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين تبارك وتعالى.
- ومن هنا كان هذا الأساس على جانب كبير من الأهمية في الدراسات الأخلاقية، وذلك لما بين سلوك الإنسان، وطبيعته التي جبله الله عليها من صلة وثيقة، ولأن نجاح أي نظام أخلاقي يتوقف على مدى انسجامه مع واقع هذه الطبيعة.

المحاضرة الثالثة : خصائص الأخلاق الإسلامية

تمتاز الأخلاق الإسلامية بجملة من الخصائص تميزها عن غيرها من الأنظمة الأخلاقية ، وتعطيها وجودها وطابعها المتفرد والمستقل ، وهي :

❶ الانبثاق عن عقيدة الإسلام :

- الأخلاق الإسلامية مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً؛ بحيث يستحيل الفصل بينهما.
- وما أكثر النصوص التي تربط بين الإيمان وحسن الخُلُق؛ حتى إنها لتجعل الإيمان، هو نفسه حسن الخُلُق، كيف لا؛ وحسن الخلق يقتضي شُكر المنْعِم (الإله)، والاعتراف بفضله، والثناء عليه، والوقوف عند حدوده بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه .
- وأي عقوق أعظم من أن يتمرد الإنسان على خالقه ومولاه، ويتنكر لجميله، ويخالف أمره ونهيه، كما هو الشأن في الكفار والمنافقين .
- يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه ، وهي بجملتها ثمرة حُسْن الخلق ، وسوء الخلق ، فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق) . قَالَ تَعَالَى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ ﴾ ،
- من أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات ، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق ، وفقد جميعها علامة سوء الخلق ، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقده ، وحفظ ما وجده. وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة ، وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق ، فقال صلى الله عليه وسلم : (من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ). وقال : (لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ). وقال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً).
- ويقول الداعية المعاصر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "الإيمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات ومن ثمَّ فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير أو يُنفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم. وما أكثر ما يقول في كتابه: " يا أيها الذين آمنوا " ثم يذكر بعدُ ما يُكلفهم به، مثل قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] ، [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا]..
- وقد وضح صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم أن الإيمان القوي ، يلد الخلق القوي حتماً ، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان ، أو فقدانه ، بحسب تفاقم الشر أو تفاهته..
- فالرجل الصفيق الوجه ، المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد، يقول رسول الإسلام في وصف حاله: "الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر"!.

- والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء، يحكم الدين عليه حكما قاسياً فيقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : (والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يا رَسُولَ اللَّهِ قال الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه).
- وتجد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو، ومجانبة الثرثرة والهذر يقول: (وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ). وهكذا يمضى في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتى ثمارها، معتمداً على صدق الإيمان وكماله..".
- إذاً فالدين هو منبت الأخلاق، وهو مصدر الرقابة عليها، وهو المقوِّم لها إذا انحرفت، وهما متلازمان لإقامة كل مدنية فاضلة خيرة في مصلحة الإنسان.

❷ **الشمول :** تتنوع الأخلاق الإسلامية وتشمل جميع المجالات ، ومن هذه المجالات :

١/٢ : خلق مع الله ومع رسله عليهم السلام : وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تبين خُلُق المسلم مع الله ومع أنبيائه، من ذلك : قوله تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} . وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ، فخُلُق المسلم مع الله تعالى ومع أنبيائه عليهم السلام يتمثل في السمع والطاعة لما جاء، والتسليم والرضا به دون أخذٍ أو ردٍ، أو تقديم اقتراحات أو آراء مع رأي الشرع .

٢/٢ : خلق مع المسلمين : النصوص في بيان ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع المسلم، من الأخوة والإيثار والنصح والمحبة والتعاون والنصرة والولاية أكثر من أن تحصى. من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخ المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه" .

٣/٢ : خلق مع غير المسلم : وردت نصوص كثيرة تبين ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع غير المسلم، من العدل والإحسان وحسن المعاملة، من ذلك قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} . وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته" . الذمي من رضي بالعيش مع المسلمين مسالماً في كنف دولة الإسلام، ولم يجاهر بعدائه للمسلمين أو لدينهم.

٤/٢ : خلق مع الكبير والصغير : يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا" . وقوله: "ليس منا" يدل على عِظم وخطورة هذه الجريمة الأخلاقية. فهو ليس على أخلاق المسلمين، ولا على نهجهم ومسلكهم في الحياة مادام لا يوقر من هو أكبر منه، ولا يعطف على من هو أصغر منه. وإذا لم يكن على أخلاق المسلمين، فليتنبه لنفسه، وليعرف الطريق الذي اختاره لنفسه، وما يحفه من المخاطر.

٥/٢ : خلق مع ولي الأمر: ويتمثل في طاعة أوامره في المعروف، وبذل النصح له. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" .

٦/٢ : وهناك الخلق مع الوالدين والأبناء والبنات والزوج والقرابة، ومع الضيف والمعلم والصديق، ومع البهائم والجماد... وهكذا نجد أن مجالاته شاملة لميادين الحياة كلها.

- يقول الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "قد تكون لكل دين شعائر خاصة به، تعتبر سمات مميزة له. ولا شك أن في الإسلام طاعات معينة، ألزم بها أتباعه، وتعتبر فيما بينهم أموراً مقررة لا صلة لغيرهم بها، غير أن التعاليم الخُلُقية ليست من هذا القبيل؛ فالمسلم مكلف أن يلقى أهل الأرض قاطبة بفضائل لا ترقى إليها شبهة، فالصدق واجب على المسلم مع المسلم وغيره، والسماحة والوفاء والمروءة والتعاون والكرم.. الخ. وقد أمر القرآن الكريم ألا نتورط مع اليهود أو النصارى في مجادلات تهيج الخصومات ولا تجدي الأديان شيئاً. قال الله تعالى: [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] .
- واستغرب من أتباع موسى وعيسى أن يشتبكوا مع المسلمين في منازعات من هذا النوع الحاد:[قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ] .
- وحدث أن يهودياً كان له دَيْنٌ على النبي، فجاء يتقاضاه قائلاً : إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطل!! فرأى عمر بن الخطاب أن يُؤدب هذا المتطاول على مقام الرسول، وهَمَّ بسيفه يبغي قتله. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أسكت عمر قائلاً: (أنا وهو أولى منك بغير هذا، تأمره بحُسن التقاضي، وتأمرني بحُسن الأداء)، وقد أمر الإسلام بالعدل ولو مع فاجر أو كافر. قال عليه الصلاة والسلام: "دعوة المظلوم مُستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) ... وبهذه النصوص، مَنع الإسلام أبناءه أن يقترفوا أية إساءة نحو مخالفيهم في الدين. ومن آيات حسن الخلق مع أهل الأديان الأخرى ما ورد عن ابن عمر: أنه ذبحت له شاة في أهله ؟ فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)..
- أما من الناحية العامة، فقد قرر الإسلام أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها، واستدامة منعتها، إنما يُكفل لها إذا ضمنت حياة الأخلاق فيها، فإذا سقطت الخلق سقطت الدولة معه.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

- ويؤكد هذه الحقيقة حديث الرسول لقومه وعشيرته، فقد رشحتهم مكانتهم في جزيرة العرب لسيادتها، وتولي مقاليد الحكم بها. ولكن النبي أفهمهم ألا دوام لملكهم إلا بالخُلُق وحده. فعن أنس بن مالك قال: "كنا في بيت فيه نفر من المهاجرين والأنصار؟ فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فجعل كل رجل يوسع رجاء أن يجلس إلى جنبه.. ثم قام إلى الباب فأخذ بعضادتيه، فقال: (الأُمَرَاءُ من قُرَيْشٍ ثَلاَثاً ما فَعَلُوا ثَلاَثاً ما حَكَمُوا فَعَدَلُوا وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا وَعَاهَدُوا فَوَفَوْا فَمَنْ لم يَفْعَلْ ذلك منهم فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). هذا الحديث حاسم في أنه لا مكانة لأمة ولا لدولة ولا لأسرة إلا بمقدار ما تمثل في العالم من صفات عالية، وما تحقق من أهداف كريمة.

- فلو أن حكماً حمل طابع الإسلام والقرآن، ثم نظر الناس إليه فوجدوه لا يعدل في قضية، ولا يرحم في حاجة، ولا يوفي في معاهدة، فهو باسم الإسلام والقرآن قد انسلخ عن مقوماته الفاضلة، وأصبح أهلاً لأن يلعن في فجاج الأرض وآفاق السماء.
- ومن أقوال الإمام ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة، وإن كانت مسلمة" . إن الخلق في منابع الإسلام الأولى من كتاب وسنة هو الدين كله، وهو الدنيا كلها، فإن نقصت أمة حظاً من رفعة في صلتها بالله، أو في مكانتها بين الناس، فبقدر نقصان فضائلها وانهزام خلقها".

❸ الثبات :

- يقصد بالثبات أن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار مرتبطة بنظام الشريعة العامة، وهي أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيماً فاضلة ثابتة.
- إن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعا للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}
- ويمكن إيجاز العوامل التي جعلت أخلاق الإسلام ثابتة في سببين ، هما:
  - ❖ الأول : أنها مرتبطة بالفطرة البشرية: والفطرة تتصف بالثبات، ويرثها الأحفاد عن الآباء والأجداد، كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) فالخُلق فِطرة.
  - ❖ الثاني : كونها نابعة من الدين: والدين يصلح لجميع الناس، ويهدف إلى الخير المطلق، لأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وقد راعى فيه الخير العام، فكذلك الأخلاق الإسلامية. قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ}
- ويترتب على خاصية الثبات هذه أن الأخلاق مختلفة عن التقاليد؛ لأن التقاليد تتغير بين الفينة والأخرى، بتغير مسوغات وجودها، وليس كذلك الأخلاق، لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير.
- كما أن الثبات في الأخلاق من شأنه أن يبعث الطمأنينة في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع، بخلاف من ينظر إلى الأخلاق على أنها تتطور وتتبدل بتبدل الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإن من شأنها أن تجعل الإنسان يعيش من غير قيم عليا، وفي اضطراب وقلق.

❹ الجمع بين الواقعية والمثالية :

- فأما كون الأخلاق في الإسلام واقعية فتعني أنها عملية وقابلة للتطبيق، ولا يستعصي على أحد من الناس تطبيقها وتجسيدها في حياته .
- وأما كونها في الوقت ذاته مثاليةً أيضاً فتعني أن في الناس من تتوق نفسه إلى معالي الأمور، ولا يرضى لنفسه بأن يكون كسائر الناس، ولا يشبع ذلك نَهَمه ورغبته في التسامي بخلقه، ورغبته في التحلي بالفضائل، ففسح الشرع له ذلك المجال.
- فالإسلام راعى بتشريعه استعدادات هذا وذاك من الناس، ولم يحملهم على ما لا يطيقون، وما يمكن أن تمله نفوسهم وتتقاصر عنه، فشرع العدل وذلك بأن يصل كل ذي حق إلى حقه، ولكن دعاه في الوقت ذاته إلى الإحسان وهي مرتبة فوق العدل، فيها التضحية والصفح والتجاوز، قال تعالى في تقرير قاعدة العدل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] .
- وقال في تقرير المثالية والإحسان: [وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] ، [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ] .
- والأخلاق الإسلامية في هذا يختلف عن الدعوات المثالية التي نادى بها بعض الفلاسفة من أمثال أفلاطون في كتابه الجمهورية الفاضلة، وكذلك النصارى في الوصايا التي نسبوها إلى نبي الله عيسى عليه السلام، ويستعصي على معظم الناس تطبيقها، ولا تستقيم معها حياتهم، وسرعان ما يملونها، وتسأم نفوسهم من فعله لما فيها من تكلف شديد. قال عليه الصلاة والسلام: (عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا). وفي معناه قوله تعالى: [فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ] .

❺ الوسطية :

- وتعني أن الأخلاق الإسلامية وسطٌ بين طرفين متضادين. وتتجلى هذه الوسطية والاعتدال في جوانب الدين كله : ففي نظرة الإسلام إلى تكوين الإنسان كان وسطاً بين :
  + غلاة المثاليين الذين يعتبرون الإنسان روحاً علوية محبوسةً في الجسد ويجب عليه أن يتحرر منه.
  + غلاة الواقعيين الذين يعتبرون الإنسان جسداً فقط ويتنكرون للروح ومتطلباته.
- فجاء الإسلام وقرر أن الإنسان مخلوق مركب من عقل وشهوة، وفيه استعداد للتقوى والفجور، وقد بين الله له طريق الخير وطريق الشر بوساطة أنبيائه ورسله، ثم ترك له حرية الاختيار، فقال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}
- وفي نظرة الإسلام إلى الحياة كان وسطاً بين طرفين متقابلين هما :
  ❖ من يرى أن الحياة هي هذه الدنيا التي نعيشها فقط.
  ❖ وأولئك الذين يتنكرون لهذه الحياة الدنيوية ومتعها، ويرون أن السعي يجب أن يكون للآخرة فقط.
- فجاء الإسلام ليقرر الانسجام والتوافق بين الحياتين، وأن الدنيا مزرعة للآخرة، ويجب على الإنسان أن يعمل لها ويسعى في عمارتها لأنها تمثل جزءاً من المهمة التي خلق الله عز وجل البشر من أجلها. قال تعالى: {هُوَ

أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } ، أي طلب منكم عمارتها، وقال أيضاً: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } .

- وفي دعوته إلى التحلي بالفضائل الخلقية كان وسطاً لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فعلى سبيل المثال لا الحصر، حث على :

❖ **الحكمة واعتبرها فضيلة** ، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ... ﴿٢٦٩﴾ ﴾ ولكنها تأتي بين رذيلتين هما : الخبُّ والبَلَه .

❁ **الخب** : إفراط وزيادة من جهة الاتصاف بالمكر والحيلة وسوء الظن .

❁ **البله** : تفريط ونقصان عن الاعتدال، وسذاجة وسفه .

❖ **السخاء** : واعتبره خلقاً كريماً، لكنه بين أنه يأتي بين رذيلتين، هما : الإسراف والتقتير،

❁ **الإسراف** : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

❁ **التقتير** : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

❖ **الشجاعة** : وهي وسطٌ بين رذيلتي التهور والجبن.

❁ **التهور** : زيادة عن الاعتدال ، ويقدم بها الإنسان على الأمور المحظورة ، التي يجب في العقل الإحجام عنها ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ ... ﴿١٩٥﴾ ﴾

❁ **الجبن** : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

❖**العفة** : وهي وسط بين رذيلتي الشره والخمود.

❁ **الشره** : هو إفراط الشهوة إلى المبالغة في اللذات .

❁ **الخمود** : هو خمود الشهوة عن الانبعاث إلى ما يقتضي العقل نيله وتحصيله .

❖ **الحياء** : وهو وسط بين رذيلتي الوقاحة وصفاقة الوجه من جهة، والخور والمهانة من جهة أخرى.

❖ **التواضع** : وهو وسط بين رذيلتي الكبر والعلو من جهة، والذلة والحقارة من جهة أخرى.

❖ **العدل** : هو التوسط المحمود في كل شيء، بأن يعطي كل ذي حق حقه، من غير غبن وتغابن. والغبن إفراط أي أن يأخذ ما ليس له، والتغابن تفريط، أي أن يعطي في المعاملة ما ليس عليه حمد وأجر.

المحاضرة الرابعة : وسائل اكتساب الأخلاق

المقدمة

ذكرنا فيما تقدم أن هناك أخلاقًا فطرية؛ بمعنى أن بعض الناس تشمله العناية الإلهية فيولد سليم الفطرة، كامل العقل، حسن الخُلق، عالِماً مؤدَّباً بغير معلِّمٍ أو مؤدِّبٍ، كما هو الحال في الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام الذين اصطفاهم الله واختارهم، وجعلهم بفضله قدوات صالحة تمثل قمة الكمال البشري.

وهناك من يمُنُّ الله عليه ببعض تلك الصفات الخُلقية الحميدة، كما في حديث أشج عبد القيس حين أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة".

وحين سأل النبي أهما من كسبه أم جبله الله عليهما؟ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "بل الله جبلك عليهما". فإذا ما استثنينا هذه الحالات، فإن الصفات الخلقية الحميدة تحتاج إلى وسائل لاكتسابها والاتصاف بها. ومن أهم هذه الوسائل:

وسائل الاكتساب و الاتصاف بالأخلاق الفطرية :

❶ **التدريب العملي والرياضة النفسية :** وذلك من خلال مجاهدة النفس ، وحملها على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب .

فمن أراد مثلاً أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق الجود؛ فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ببذل المال، ويواظب عليه تكلفاً، مجاهداً نفسه فيه حتى يصبح ذلك خلقاً له، وطبعاً فيه، فيتيسر عليه، ويصير به جواداً.

وكذا من أراد أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق التواضع وقد غلب عليه الكِبْر؛ فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة، وهو فيها يجاهد نفسه، ويتكلف إلى أن يصبح ذلك خلقاً له وطبعاً فيه؛ فيتيسر عليه، ويصير به متواضعاً . وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق، إلى أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً.

- السخي : هو الذي يَسْتَلِّذ بذلَ المال الذي يبذله ، دون الذي يبذله عن كراهة.
- المتواضع : هو الذي يَسْتَلِّذ التواضع .
- وفي هذا المعنى جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)، أي أنه صلوات الله عليه وسلامه كان يشعر بغاية الراحة واللذة عند دخوله في المناجاة مع ربه في صلاته، وكان هذا خلقاً له.
- وهذا الشعور بلذة الطاعة ، وكره المعصية يجب أن يكون مستمراً على الدوام على مدى العمر.
- ويلاحظ أن الفضيلة تكون أرسخ وأكمل، كلما كان العمر أطول، ومن هنا كان جواب النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل : أي الناس خير؟ قال: "من طال عمره، وحسن عمله" .
- وهذا ما جعل الأنبياء والصالحين من عباد الله يرغبون في طول العمر؛ إذ الدنيا مزرعة الآخرة، وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر، كان الثواب أجزل، والنفس أزكى وأطهر، والأخلاق أقوى وأرسخ.

❖ العلاقة بين القلب والجوارح :

وفي هذا المعنى أيضاً جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ".

- أي أن من درب نفسه وحملها على ما يريد، وجد الاستجابة لها بإذن الله.
- فالبداية تكون من العبد، ثم يأتيه التوفيق من الله تعالى، مثله في ذلك مثل البدن، فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل ويقوى شيئاً فشيئاً بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، قابلة للكمال، وإنما تكمل شيئاً فشيئاً بالتربية وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم.
- يتضح إذن مما سبق أنه يمكن اكتساب الأخلاق الجميلة بالرياضة والتدريب العملي، وذلك بتكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً؛ لتصير طبعاً بعد ذلك في النهاية. وهذا من أثر العلاقة بين القلب والجوارح.
- وإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح؛ فلا تتحرك إلا على وفقها، كما أن كل فعل يجري على الجوارح ينعكس على القلب، ويؤثر فيه. فيبدو الأمر وكأن فيه دوراً. كلٌ منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

❖ ويمكن توضيح ذلك أكثر من خلال الأمثلة التالية :

١- من أراد أن يصير حاذقاً في الكتابة (خطاطاً)، فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق، ويواظب عليه مدة طويلة، يحاكي الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن، فيتشبه بالكاتب تكلفاً، ثم لا يزال يواظب عليه؛ حتى يصير صفة راسخة في نفسه، فيصدر منه في النهاية الخط الحسن طبعاً وسجيةً دونما تكلف، بعكس ما كان في البداية.

٢- وكذلك من أراد أن يصبح فقيه النفس، فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء، وهو تكرار النظر والتأمل في كتب الفقه، وكثرة القراءة فيها، حتى ينعكس منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس.

٣- وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً، فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً؛ حتى يصير ذلك طبعاً له ... وهكذا.

❷ البيئة الصالحة والجليس الصالح :

- وذلك بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخيرَ جميعاً. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً). رواه البخاري ومسلم.

- قال النووي: "في الحديث تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة".
- قال الشيخ ناصر السعدي رحمه الله: تعليقاً على هذا الحديث الشريف: "اشتمل هذا الحديث على الحث على اختيار الأصحاب الصالحين، والتحذير من ضدهم، ومثل النبي صلى الله عليه وسلم بهذين المثالين، مبيناً أن الجليس الصالح: جميع أحوالك معه، وأنت في مغنم وخير، كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك: إما بهبة، أو بعوض. وأقل ذلك: مدة جلوسك معه، وأنت قرير النفس برائحة المسك فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك. فيحثك على طاعة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ويبصرك بعيوب نفسك، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها بقوله وفعله وحاله. فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها بعضاً إلى الخير، أو إلى ضده.
- وأما مصاحبة الأشرار : فإنها بضد جميع ما ذكرنا، وهم مضرة من جميع الوجوه على من صَاحَبَهُمْ، وشر على من خالطهم. فكم هلك بسببهم أقوام. وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون. ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن: أن يوفقه لصحبة الأخيار. ومن عقوبته لعبده: أن يبتليه بصحبة الأشرار. صحبة الأخيار توصل
- العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار توصله إلى أسفل سافلين. صحبة الأخيار توجب له العلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة. وصحبة الأشرار: تحرمه ذلك أجمع: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا }
- إن أقل ما تستفيده من الجليس الصالح - وهي فائدة لا يستهان بها - أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي، رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعاً عن الشر، وأن يحفظك في حضرتك ومغيبك، وأن تنفعك محبته ودعاؤه في حال حياتك وبعد مماتك، وأن يدافع عنك بسبب اتصاله بك، ومحبته لك. وتلك أمور لا تباشر أنت مدافعتها، كما أنه قد يصلك بأشخاص وأعمال ينفعك اتصالك بهم. وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى. وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله".
- ويؤكد ما أسلفناه من أثر البيئة الفاسدة والبيئة الصالحة على المرء، قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟
- فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ،

فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَط، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ؛ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ".

- فقد طالبه العالم بتغيير بيئته الفاسدة. قال النووي: "قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم".
- وفي نفس السياق ورد قول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ". حيث أكد على دور وتأثير البيئة المحيطة بالمرء في اكتساب الأخلاق، وكلما كانت البيئة به ألصق،وأكثر ملازمة، كان التأثير أكبر.

❸ القدوة الحسنة :

- الإنسان بطبعه يميل إلى تقليد غيره ومحاكاته، وهذا أمرٌ واقعٌ ومحسوسٌ في دنيا الناس، لا يتجادل فيه اثنان، ولا يتناطح فيه كبشان. وقد قصَّ الله علينا في كتابه العزيز حال كثير من الكفار، ونبَّه إلى أن الذي قادهم إلى الضلال والكفر إنما هو تقليدهم الأعمى للآباء والأسلاف. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾
- إذاً فالمنكر في الأمر ليس هو التقليد، وإنما التقليد القائم على التبعية العمياء، وعلى تعطيل العقل، وإلا فلو كان قائماً على التبصر والتعقل وحسن الاختيار لكان مقبولاً، بل مطلوباً في كثير من الأحيان.
- إن دور القدوة الصالحة وأهميتها في التربية الرشيدة لا ينكر، ومن ثمَّ رأينا القرآن الكريم يقص علينا سير الأنبياء والمرسلين، وفي مقدمتهم سيد ولد آدم محمد عليه الصلاة والسلام. وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا} . فهو خير قدوة يقتدي بها الأفراد ، وخصوصاً الطامحون لبلوغ الكمال الإنساني في السلوك.
- ولئن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه فإن الله قد حفظ لنا من سيرته العطرة ما يكفي أن تكون شاهدة على سمو روحه وكمال نفسه ورفعة أخلاقه، فتقوم بها الحجة علينا، وهي بفضل الله مخدومة مدونة مطبوعة متوافرة في أصقاع الأرض، وما على الراغب في الوقوف عليها، والاقتداء بها إلا بذل جهد يسير ليتمكن من اقتنائها ومطالعتها والعمل بما فيها.
- إن الشخصية القيادية تفرض نفسها على الآخرين، وتنتزع منهم الإعجاب رغماً عنهم، وإن ميادين الحياة التي يمكن من خلالها أن تفرض هذه الشخصية أو تلك نفسها على الآخرين كثيرة جداً، فهذا في الشجاعة، وذاك في سداد الرأي والحكمة، وآخر في التربية، وآخر في الإحسان والإيثار وكظم الغيظ، بل قد يكون الميدان الذي يبرز فيه وينال إعجاب الناس مما لا يرضي الله ورسوله كالغناء الماجن، والتمثيل الساقط، وما أشبه ذلك، إلا أن العاقل هو الذي يختار القدوة الصالحة، والنموذج الراقي، الذي يكون التأسي به خيراً وبركة عليه في دنياه وأخراه.

- ومن ثمَّ وجدنا القرآن الكريم يقول للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن تحدث عن بعض الأنبياء والمرسلين: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ} إن للقدوة الصالحة تأثيراً كبيراً في دفع الناس إلى اكتساب الفضائل لأسباب عديدة، منها:

١- لما كانت القدوة الصالحة محل تقدير وإعجاب كبيرين لدى الناس، فإن ذلك من شأنه أن يدفع الشخص المحروم من أسباب هذا المجد إلى تقليده ومحاكاته لعله يصبح يوماً مثله، فيتكون لديه حافز قوي يدفعه إلى تقليده، ومع مرور الوقت فإن هذا التقليد يتحول لديه إلى خلق مكتسب.

٢- إن وجود القدوات الصالحة، والنماذج الطيبة الراقية، يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل أمر ممكن، وهو ما يدفعهم إلى محاولة التخلق بمثل أخلاقهم.

٣- أن النفس البشرية تتأثر بالأمور العملية أكثر بكثير من تأثرها بالأمور النظرية، وإن موقفاً عملياً واحداً ربما يؤثر أكثر من عشر محاضرات نظرية، فمهما حثَّ أحدنا الناس على الصبر والتضحية سيبقى تأثيره قليلاً بالمقارنة مع موقف عملي يُبتلى فيه أحدُنا فيظهر الصبر والجلد والتضحية، وكثيراً ما يقال: إن الرجال مواقف. وموقف واحد قد يرفعه أو يسقطه، وأما الكلام فإن من يحسنه كثيرون، ولا يكلف صاحبه إلا جهداً بسيطاً. إن الناظر في سير العظماء لن يجد لهم الخطب الرنانة، والمحاضرات المنمقة، وإنما يجد المواقف، ودونك فانظر إلى سيرة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي رضي الله عنهم، فإنك ستجد أن أكثر ما يعرف ويشتهر عنهم، هو مواقفهم الحاسمة في نصرة الدين، ووقوفهم الحازم في وجه أعدائه.

- إن أكثر ما يعرفه الناس عامة من سيرة أبي بكر رضي الله عنه، صحبته للنبي في هجرته، وتضحيته ببذل النفس والمال فداءً للرسول صلى الله عليه وسلم، ولدعوته، وكذا ثباته على الحق برباطة جأش يوم وفاة النبي، وقوله في الصحابة: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ومثل ذلك وقفته الحازمة في وجه المرتدين وفي وجه مانعي الزكاة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله: أينقص الدين وأنا حي، و الله لو لم يخرج إليهم أحدٌ لقاتلتهم بسيفي، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .
- وإن أكثر ما يعرف من سيرة الإمام أحمد بن حنبل امتناعه عن القول بخلق القرآن، وتحمله التعذيب والسجن نصرةً للحق، وعدم إطاعته للخليفة في ذلك. وفي هذا المعنى أثر عن بعض السلف قوله:إن فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل. وهذا أمر في غاية الأهمية في التربية السلوكية.
- إن من واجب المصلحين والدعاة المربين أن يبرزوا للناس؛ وخصوصًا للشباب والنشء النماذجَ الصالحة من أسلافنا من الصحابة والتابعين، فيبرزوا سير العلماء الربانيين، والزهاد الأتقياء العابدين، والقادة الأفذاذ الفاتحين، والمربين الناجحين المؤثرين؛ لتتحرك الهمم نحو التأسي بهم، والسير على نهجهم.

❹ الضغط الاجتماعي :

- نعني بذلك المجتمع المسلم، بما يشكله من رقابة على سلوك الأفراد، ويُلزمهم بفضائل الأخلاق.
- وذلك أن الفرد يعيش مع الناس داخل هذا المجتمع أو ذاك، يحتاجهم في شؤون حياته، ولا يستغني عنهم، ويحتاج منهم التقدير والاحترام؛ فإذا ما أقدم على تصرف سيئ، فسيجد من يحاسبه على سلوكه ذاك، وسيشعره بأنه أقدم على سلوك غير مقبول، وأن عليه أن لا يعاوده.
- ويومًا بعد يوم، ومع هذه الرقابة من المجتمع، والضغط الذي يشكله على سلوكه، فإنه سيهجر هذا التصرف السيئ، وسيبدله بتصرف آخر مقبول، يجلب له الرضا والاحترام والتقدير ممن حوله، وبذلك يستقيم خلقه.

❖ الفرق بين الضغط الاجتماعي وتأثير البيئة الصالحة :

قد يشكل على البعض الفرق بين الضغط الاجتماعي والبيئة الصالحة، فيعتقد أنهما واحدٌ، والحق أن الضغط الاجتماعي أعم من البيئة؛ لأن المسؤولية فيه مسؤولية اجتماعية، ويمكن التفريق بينهما من خلال ما يأتي:

+ البيئة : تعني تلك المجموعة من الناس الذين يعيش معهم بشكل مباشر كل يوم، وبصورة مستمرة .
+ الضغط الاجتماعي : فيعني المجتمع بكل طبقاته وأطيافه وفئاته؛ فهناك رقابة من المجتمع على وسائل الإعلام المختلفة من جرائد ومجلات وكتب وإذاعات وخطب ومقالات ومواعظ وحوارات، فيقوم مستمعوه وقراؤه بمحاسبته على أقواله وتصرفاته المخالفة للفضائل الخلقية.

- وهناك نصوصٌ كثيرةٌ حث فيها الإسلام على الضغط الاجتماعي من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها :

١- في بيان ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} ثُمَّ قَالَ: كَلاَّ وَاللَّهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا"

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَمِيعًا"

+ ومعنى (القَائِمِ فِي حُدُودِ اللهِ تَعَالَى): المنكر للوقوع في الحرام، والقائم بدفعِه وإزالتِه، (عكس الواقع فيه)
+ وَالمُرادُ بالحُدُودِ: مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ.
+ ومعنى: (اسْتَهَمُوا): اقْتَرَعُوا.

❺ سلطان الدولة :

- ونعني به السلطة الحاكمة بما تملكه من قوة ردع، وأجهزة رقابة ومحاسبة، وفي بيان أثر هذه الرقابة من الدولة وأهميتها يقول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".
- أي أن الله تعالى يدفع بالسلطان أناساً عن اقتراف المنكر؛ خوفًا من عقوبته؛ لأن قلوبهم ميتة لا تستجيب لنداء القرآن الكريم وما فيه من الترغيب والترهيب، وإيمانهم قد استبد به الضعف، فأصبحوا لا يرتدعون إلا خوفاً من العقوبة، ومن سياط السلطان، حال العبد الذي يُقرع بالعصا، ولا تكفيه الإشارة.

المحاضرة الخامسة : المسئولية عن السلوك الأخلاقي

في هذا المبحث سنتعرض لمسائل ثلاثة مرتبطة ببعضها ارتباط العلة بالمعلول.

وهي : الإلزام ، ثم المسؤولية ، ثم الجزاء.

بمعنى أن الإلزام يكون أولاً ، ثم تتبعه المسؤولية ، ثم يتبعهما الجزاء أخيراً .

أولاً : الإلزام :

- تعريف الإلزام الخُلقي : يمكن تعريف الإلزام في باب الأخلاق بأنه: تكليفٌ بتشريع خُلقي.
- أو بعبارة أوضح : أمرٌ صادرٌ من الشرع للمكلفِ بامتثال خُلُقٍ محمودٍ، أو اجتنابِ خُلُقٍ مذموم.
- والمقصود بالمكلف هو الشخص : البالغ العاقل .
- أي أن الإلزام الخُلُقي أمرٌ صادر من الله سبحانه أو من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم للبالغ العاقل، وبمقتضاه يُطالب هذا الشخص بأن يتصف بخُلُقٍ محمود كالصدق والعدل ونحوها، أو ينتهي ويبتعد عن خُلُقٍ مذمومٍ كالكذب والرياء ونحوها.
- مصادر الإلزام الخلقي : يذهب عامة علماء المسلمين إلى أن مصدر الإلزام الخلقي – كغيره من الأحكام الشرعية – إنما هو الله سبحانه، قال تعالى: {إِنْ الحُكْمُ إِلَّا لِلهِ} وقال جل في علاه: {أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ} فالتشريع حقٌ لله وحده.
- ثم إن الله تعالى أمرنا بإتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}، وقال أيضاً: {قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ} فإتباعنا لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام إنما هو استجابةٌ وامتثالٌ لأمر الله سبحانه. وقد بعثه الله إلينا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقام بهما الحجة على العباد، وبدونهما لا محاسبة ولا عقاب، قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} ، وقال أيضًا: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}
- وإذا كان مصدر الإلزام هو الشرع، فإن هناك أموراً تعين على تحقيق الالتزام في حياة الناس، وهي متفرعة عن الشرع، ومنضبطة به، وتتمثل في (عوامل داخلية ، عوامل خارجية) .

١ : العوامل الداخلية :

- الإيمان بالله : إن كثيراً من الممارسات الخلقية الحميدة لا تقوم إلا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر، والطمع بالثواب والرضا من الله تبارك وتعالى، وليس من البشر، وذلك كما في مقابلة الإساءة بالإحسان، والصبر على الظلم مع القدرة على الرد، والإنفاق على الأيتام والمحتاجين من غير انتظار الجزاء منهم، والتضحية بالمال مع شدة الحاجة إليه، وفي هذا جاء قول الله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ يقول ابن القيم

رحمه الله: "الإيمان هو روح الأعمال، وهو الباعث عليها والآمر بأحسنها والناهي عن أقبحها، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه، وائتمار صاحبه وانتهاؤه".

- **العقل :** وذلك أن الإنسان إذا رأى أن عاقبة فعله ستكون نافعة ومفيدة أقدم عليه، وإذا رأى أنها ستكون ضارة أو أليمة أحجم عنه، أي أن العقل كثيراً ما يكون وراء الإقدام على التصرفات الأخلاقية الحميدة، والإحجام عن التصرفات المشينة، فالعقل يقود صاحبه إلى الخلق الحميد، وتعطيله يقوده إلى العكس. وفي هذا جاء إخبار الله عن أهل النار بقوله: [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]

- يقول ابن القيم رحمه الله: " أما العقل فقد وضع الله سبحانه في العقول والفطر استحسان الصدق والعدل والإحسان والبر والعفة والشجاعة ومكارم الأخلاق وأداء الأمانات وصلة الأرحام ونصيحة الخلق والوفاء بالعهد وحفظ الجوار ونصر المظلوم والإعانة على نوائب الحق وقرى الضيف وحمل الكل ونحو ذلك ووضع في العقول والفطر استقباح أضداد ذلك ونسبة هذا الاستحسان والاستقباح إلى العقول والفطر كنسبة استحسان شرب الماء البارد عند الظمأ وأكل الطعام اللذيذ النافع عند الجوع ولبس ما يدفئه عند البرد فكما لا يمكنه أن يدفع عن نفسه وطبعه استحسان ذلك ونفعه فكذلك لا يدفع عن نفسه وفطرته استحسان صفات الكمال ونفعها واستقباح أضدادها ومن قال : إن ذلك لا يعلم بالعقل ولا بالفطرة وإنما عرف بمجرد السمع فقوله باطل".

- **الفطرة :** الإنسان بفطرته السوية السليمة يهتدي إلى الأخلاق الحميدة، ويرتاح لها قلبه وضميره، فالعفة والسخاء والحياء والصدق والشجاعة والإحسان والحلم والأناة كلها قيم أخلاقية راقية تهفو إليها الفِطَر السوية، وتسعى للتحلي بها، على العكس من أضداد تلك الصفات كالخِسَّة وصفاقة الوجه، والجبن، وبذاءة اللسان فإن الفِطَر السليمة تستقبحها وتنفر منها، والإسلام دين الفطرة، قال تعالى: [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ] ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه واقرؤوا إن شئتم: { فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}.

- يقول ابن القيم: "الله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة إحسانه ونعمه ... أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة. فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم وشبه ذلك بخروج البهيمة صحيحة سالمة حتى يجدعها صاحبها".

- ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم وشبه ذلك بخروج البهيمة صحيحة سالمة حتى يجدعها صاحبها".

- **الضمير أو الوازع الديني :** ونعني به ذلك الشعور الخفي الذي نحس به في أعماق نفوسنا، يناديا ويدفعنا إلى ممارسة فعل أو الكف عنه. وحين نستجيب له يغمرنا شعور عارم بالراحة واللذة. وأما إذا

تجاهلناه حصل معنا العكس تماماً، فتشعرنا بالانقباض والألم النفسي (ويسمى بوخز الضمير)، ونلوم أنفسنا على ذلك التقصير، ولا نريد أن يطلع عليه أحد.

- وهذا الضمير إنما يتكون في الفرد في أولى سِنِي حياته ومن خلال القيم التي تغرس فيه، والثقافة التي ينشأ عليها، والتربية التي يتلقاها، والبيئة المحيطة به. ومن هنا كان دور الدين قوياً بل أساساً في نشأته وصياغته في المجتمع الإسلامي. ولعل في قول النبي عليه الصلاة والسلام : "الْبِرُّ ما اطْمَأَنَّ إليه الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّتْ إليه النَّفْسُ وَالإِثْمُ ما حَاكَ في الْقَلْبِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ" ما يشير إلى هذا الضمير الخفي أو الوازع الديني، الذي يكون رقيباً على تصرفات المسلم، فيدفعه إلى طيب الأفعال، والأقوال ولو لم تكن نصوص الشرع آمرة بها، وتكفه عن الفعل الذي لا يليق، ولو لم تكن نصوص الشرع ناهية عنها.

٢ : العوامل الخارجية :

- **المجتمع :** أمر الله سبحانه جماعة المسلمين أن يراقبوا سلوك الأفراد داخل المجتمع، وأن يأخذوا على يد الشارد منهم، والمنحرف عن جادة الحق، وأن يعاقبوه ليكون زاجراً له ورادعاً لغيره. قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ} وقال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ} ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" .

فالأمة كلها مطالبة بأن تراقب أفعال أبنائها وتصرفاتهم؛ فتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، وتأخذ على يد الظالم والعابث، وإلا نال جميعهم شؤم المعصية وشرورها. قال تعالى محذراً من ذلك: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}

- **السلطة الحاكمة :** إن أهم واجبات السلطة الحاكمة (والمتمثلة بولي الأمر أو من ينوب عنه) هو حملُ الناسِ على الالتزام بحدود الشرع الحنيف أمراً ونهياً، والتحلي بالأخلاق النبيلة، والابتعاد عن السلوك المنحرف. وقد لخص الإمام الماوردي رحمه الله مهام ولي الأمر هذه في كتابه الأحكام السلطانية في أربع كلمات فقال: هي [❶ حراسة الدين ، ❷ سياسة الدنيا] .

❶ حراسة الدين : إنما تكون بتطبيق الشريعة ، وردع الخارج عليها.

❷ سياسة الدنيا : فتكون بمنع المنازعات، وقطع الخصومات، وتحقيق العدل بين الرعية، وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

- ولا شك أن ولي الأمر لن يستطيع أن يحقق ذلك كله من خلال شخصه وبمفرده، بل عليه أن يستعين بأناسٍ صالحين أقوياء أمناء ليكونوا له عوناً على الأمور.

* **خصائص الإلزام الخُلُقي :** يمتاز الإلزام الخلقي في الإسلام بجملة من الخصائص أهمها :

- **الإلزام بقدر الاستطاعة :** قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ...﴿٢٨٦﴾ ﴾ فلا تكليف إلا بقدر الطاقة والاستطاعة، وهذا مبدأ يقتضيه العدل الإلهي، كما يقتضيه الخلق القويم .
- **السير في التطبيق :** قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...﴿١٨٥﴾ ﴾، إذ لم يشرع لنا من التكاليف ما من شأنه أن يوقعنا في الحرج والمشقة .
- **مراعاة الأحوال الاستثنائية :** كما في إعفاء العجزة والضعفاء والمرضى عن الجهاد ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ...﴿١٧﴾ ﴾ وكما في الترخص بالتلفظ بلسانه بالكفر مع بقاء قلبه مطمئناً بالإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ...﴿١٠٦﴾ ﴾

ثانياً : المسئولية :

١/٢ : تعريفها :

- التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً .
- تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام اللّه .

٢/٢ : شروطها :

تتمثل الشروط الضرورية لمسئولياتنا أمام اللّه ثم أمام أنفسنا فيما يلي:

أ : الأهلية : وذلك بأن يكون الشخص أهلاً لتحمل المسؤولية (فيكون بالغًا عاقلاً)، وإلا فلو كان مجنوناً أو صغيراً (دون سن البلوغ) فإنه لا يكون من أهل المسؤولية؛ لحديث: "رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ" .

ب : الإرادة : أي أن يكون العمل نابعاً من إرادته، وإلا فلو كان العمل لا إرادياً كما في الخطأ، أو في حالة النائم، أو كان صاحبه مكرهاً، لم يتحمل مسؤولية تصرفه؛ لحديث: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" .

ج : النية : إذ المسؤولية الحقيقية عند الله إنما هي على النية والقصد دون ظاهر السلوك؛ أي أن تتجه النية من الشخص إلى العمل، وأن يعمل حقيقة. وهذا هو المطلوب من الإنسان، وبه ينتهي مجال الفعل الأخلاقي، وأما النتائج والمعطيات فلسنا مسؤولين عنها، بل أمرها بيد اللّه تعالى. قال صلى الله عليه وسلم في بيان هذه الحقيقة (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، كما يؤكده قول الله تعالى: [لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ] . وعليه فإن الإنسان غير مسؤول عن أعماله اللاإرادية، لأنه لا مسؤولية من غير إرادة، كما أنه غير مسؤول عن فعله الذي وقع خطأ منه، لعدم توافر نية الشر لديه، وفي بيان ذلك يقول الله تعالى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} .

د : العلم بالعمل : وبما يؤدي إليه من خير أو شر، أو إمكانية العلم حتى وإن قصر ولم يتعلم، قال تعالى: [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا]. و لا يعني هذا عدم مؤاخذة الإنسان بما يجهل، بل المقصود أنه لا يؤاخذ حتى تقوم عليه الحجة، فإذا أمكنه التعلم، ثم قصر ولم يتعلم، فإنه لا يُعذر بجهله .

هـ : كون العمل مما يطاق : أي أن بإمكان المكلف الفعل أو الترك: قال تعالى، [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] .

٣/٢ : خصائص المسؤولية :

- تتسم المسؤولية في الإسلام بأنها ذات طابع شخصي .
- بمعنى أن الإنسان يتحمل مسؤولية تصرفاته فقط دون تصرفات غيره، وقد أكدت هذه الحقيقة آيات كثيرة من كتاب الله منها: {مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى} ومنها: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى} والثواب والعقاب إنما يكون على تصرفاته من الأقوال والأفعال .
- غير أن هذه المسئولية الفردية لا تعني أن لا يكون الفرد مسؤولاً عن انحراف أبنائه أو أقرانه، أو من له ولاية عليه.
- والمسؤولية هنا ليست من أجل الفعل، بل من أجل التقصير في واجبه فيما وكل إليه؛ كما في الحديث: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، أو لتقاعسه عن واجبه الذي فرضه عليه الشرع، قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهمون عن المنكر} .

٤/٢ : أنواع المسئولية :

- المسئولية الأخلاقية المحضة : وتعني الالتزام الذاتي من الإنسان نفسه على الإتيان بشيء أو الانتهاء عن فعل شيء.
- المسئولية الاجتماعية : وتعني الالتزام تجاه الآخرين من أبناء المجتمع، وما يفرضه المجتمع من قواعد.
- المسئولية الدينية : وتعني الالتزام أمام اللّه تعالى.

ثالثاً : الجزاء :

❖ تعريفه : هو الأثر المترتب على الفعل الإنساني؛ ظاهراً أو باطناً، في الدنيا أو في الآخرة .

❖ أنواعه : للجزاء ثلاثة أنواع هي : ❶ الجزاء الأخلاقي ، ❷ والجزاء الشرعي ، ❸ والجزاء الإلهي.

❶ الجزاء الأخلاقي : ويعني ما يلاحظه الإنسان من نفسه جراء إقدامه على عمل طبقا لما يعرفه من الأحكام والتشريعات والقواعد ويحس بها، كالرضا في حالة النجاح، والألم في حالة الإخفاق. يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : (من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن). حديث صحيح. ففي هذا الحديث ترجمة وتحديد للإيمان الخلقي .

❷ **الجزاء الشرعي :** ونعني به العقوبات التي أقرتها الشريعة الإسلامية لأولئك الذين يتعدون حدود اللّه، فيظلمون بذلك أنفسهم، ويظلمون غيرهم. والغاية من هذا الجزاء الشرعي معاقبة المجرم وردعه، وكذا ردع الآخرين ممن يمكن أن تسول له نفسه ارتكاب مثل تلك الجرائم.

❖ وهذه العقوبات على نوعين :

١/٢ : جزاءات حددها الشرع كحد الزنا، والسرقة، والقذف .

٢/٢ : تعزيرات : أي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لم يحدد الشرع فيها عقوبة .

❸ **الجزاء الإلهي :** إذا كان النوعان السابقان من الجزاء يقعان في الدنيا، فإن الجزاء الإلهي له طبيعته وامتداداته من الدنيا وإلى الحياة الآخرة.

- في حالة الطاعة : والامتثال له في الدنيا الرضا من الله والتوفيق والحفظ وتيسير الأمور والنصر والعزة، وهناك آيات كثيرة تؤكد هذا منها: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} . ومنها { إن تنصروا الله ينصركم} .
- وفي حالة المعصية : والاستمرار عليها وعدم التوبة منها له في الدنيا ضنك العيش والمصائب والسخط من الله، قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ}، وقال تعالى: {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا} .
- وفي الحياة الأخرى : للمؤمن الجنة والرضا ، قال تعالى: { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً..} وقال تعالى: { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً} . وللكافر والمنافق نار جهنم والسخط من الله، قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ] .

المحاضرة السادسة : نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

الرسول ذو الخلق العظيم :

- قَالَ تَعَالَى:مادحاً نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام:(كان خلقه القرآن). أي أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام تجسيد عملي لما جاء به القرآن الكريم من أوامر أو نواهي أو مُثُلٍ عليا .
- فهو الذي اختاره الله سبحانه ليكون أسوة ومثلاً أعلى للبشرية ، قَالَ تَعَالَى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾
- وهو الذي وصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وهو الذي قال الله فيه ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ...﴿٦﴾ ﴾ .
- و زكى الله لسانه قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾
- و زكى صدره ، قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾
- و زكى هديه ومنهجه قَالَ تَعَالَى:﴿ ... وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ ، ومن ثَمَّ قال النبي صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن نعمة ربه عليه (أدبني ربي فأحسن تأديبي)، وقال: (أما إني لأخشاكم وأتقاكم لله). ويقول أنس رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً"، وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: "ما رأيت أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم". والمحاضرة وكذا عشرات المحاضرات من أمثالها لن تتمكن من إعطاء الموضوع حقه، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله. ومن ثم فإننا سنكتفي بعرض نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

❶ عبادة النبي صلى الله عليه وسلم :

- كان النبي عليه الصلاة والسلام كما وصف نفسه ، أتقى الناس وأخشاهم لله ، وأكثرهم عبادة وتألهاً ، فمن كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان شاكراً .
- تقول عائشة رضي الله عنها: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (أفلا أكون عبداً شكوراً)، وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ الْعَتَمَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ بِعِبَادَتِكَ فَذَهَبَ وَذَهَبْتُ مَعَهُ ... ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمُ وَيُرَدِّدُ فِيهِ شَفَتَيْهِ حَتَّى أَظُنَّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ فَمَكَثَ فِي رُكُوعِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي

سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَيُرَدِّدُ شَفَتَيْهِ فَأَظُنُّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ فَمَكَثَ فِي سُجُودِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ نَهَضَ حِينَ فَرَغَ مِنْ سَجْدَتَيْهِ فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ آلَ عِمْرَانَ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ كَفِعْلِهِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَمِعْتُ النِّدَاءَ بِالْفَجْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَمَا تَعَبَّدْتُ عِبَادَةً كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهَا) .

- وكان يدعو ويسبح ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع ، يقول عبد الله بن الشخير رضي الله عنه : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء). وكان يقول: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) .
- وكان يكثر من الصيام . تقول عائشة رضي الله عنها: (كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، ولم أره صائماً في شهرٍ قط أكثر منه في شعبان ، كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان إلا قليلاً) .
- وكان ينظر إلى نفسه وعبادته فيرى نفسه مقصراً في جنب الله فيقول: إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله مائة مرة) .

❷ دعوته صلى اللّه عليه وسلم :

- كانت دعوته عليه الصلاة والسلام لجميع الخلق ، وكان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً في سبيلها ، ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب ، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك ما رواه أبو أُمامة . رضي الله عنه . قال: إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه. فقال له: (ادنه)، فدنا منه قريباً، قال: (أتحبّه لأمّك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم). قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم). قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مه مه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دعاه فقال له إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنه عليه)وقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين ، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، وكان يتمثل في ذلك صلى الله عليه وسلم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...﴿١٢٥﴾ ﴾

❸ رحمته صلى الله عليه وسلم :

قَالَ تَعَالَى: في شأن نبيه ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ فهو صلى الله عليه وسلم إذاً رحمة للعالمين وليس للمؤمنين فقط، ورسالته رحمة للجميع ، ومن ثمَّ كان يقول: (إنما أنا رحمة مهداة). وعندما طلب منه أن يدع على المشركين قال: (إني لم أبعث لعانًا) ودعا لهم بالهداية . وقال عليه الصلاة والسلام : (اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاة و أجراً). وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً ، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً ، فرفق بهم ، فارفق به) قَالَ تَعَالَى:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ...١٥٩ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم في فضل الرحمة: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ومن مظاهر رحمته بالمؤمنين أنه أمر من أمهم في الصلاة بأن يخفف فقد جاء رجلٌ إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فقال أبو مسعود الأنصاري: فما رأيت النبي {صلى الله عليه وسلم} غضب في موعظةٍ قط أشد مما غضب يومئذٍ فقال يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة) وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ، بَعْدَ ذلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرضى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) .

❹ صدقه صلى الله عليه وسلم :

- فمن صور صدقه واعتراف أعدائه به حتى قبل إعلانه لدعوته، ما جرى معه صلى الله عليه وسلم حين دعا الناس إلى رسالته. فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبي {صلى الله عليه وسلم} على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم كنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب)
- من صوره ما أخبر به عبد الله بن سلام الحبر اليهودي وبسببه أسلم، قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"؛ هكذا لم يحتج الأمر منه أن يعلم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى أن ينظر إلى وجهه ليعرف أنه ليس بوجه كذاب.

❺ شجاعته صلى الله عليه وسلم :

فقد كان الأشجع والأجود بنفسه، ومن قصص شجاعته ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ) أي أن الفرس كان سريعاً فسبقتكم إلى الصوت وليس هناك ما يخيف فارجعوا. وروي عن علي رضى الله عنه قال: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ. وقال علي رضى الله عنه أيضًا: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً

وعن العباس رضي الله عنه قال شهدت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم حنين، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يُرْكض بغلته قِبَل الكفار قال العباس وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أكفها إرادة ألا تسرع فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أي عباس ناد أصحاب السمرة. قال عباس - وكان رجلاً صيتاً فقلت: أين المهاجرون الأولون أين أصحاب سورة البقرة والنبي صلى الله عليه و سلم يقول قدما: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار حتى انهزم الكفار. قال وكأني أنظر إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} يركض خلفهم على بغلته.

❻ عفو النبي صلى الله عليه وسلم :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جبريلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنا مَلَكُ الجِبالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ). فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً).

وعن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدة. قال أنس فنظرت إلى صفحة عاتق النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء). وعن عائشة قالت : مَا ضَرَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى.

المحاضرة السابعة : تابع ... نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

الرسول ذو الخلق العظيم :

❼ تواضعه صلى الله عليه وسلم :

- كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والغني والفقير، ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر. فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي برجل ترتعد فرائصه. قال: فقال له: هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد في هذه البطحاء). ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي راوي الحديث {وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ولقد كان يوم خيبر ويوم قريظة على حمار خطامه حبل من ليف وتحته أكاف من ليف .
- عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم .
- كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن مدحه وإلقاء الألقاب عليه، ويقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)، ويقول: (لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيت عليه لأجبت)، ويحذر من الكِبْر فيقول: (لا يدخل في الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كِبر) .
- قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله جميل يحب الجمال، الكِبر بَطَرُ الحق، وغَمْطُ الناس" .
  + ومعنى بطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً.
  + ومعنى غمط الناس: احتقارهم.
  + فبين النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الصحيح للكِبْر، وأنه التكبر على الحق، واحتقار الناس، وصحح المفهوم الخاطئ الذي ربما يعتقده كثير من الناس إلى يومنا هذا إذ يعتبرون الاهتمام بالمظهر من الكِبر، وليس هو منه، بل هو مما يحبه الله تعالى، ولا يتنافى مع خُلُق التواضع.
- وقد بلغ من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، ورغبته في جبر خواطر الناس أن قال: "لو دُعيت إلى كراعٌ لأجبتُ، ولو أُهدِيَ إليَّ ذراع لقبلتُ" .
- من تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب. والإهالة السنخة: تعني الدهن الجامد المتغير الريح من طول المكث .
- وعن أنس أن خياطاً دعا النبي {صلى الله عليه وسلم} لطعام صنعه قال أنس فذهبت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خبزاً من شعير ومرقاً فيه دباء وقديدٌ قال أنس فرأيت رسول الله يتتبع الدباء من حوالي الصحفة .

❽ زهده صلى الله عليه وسلم :

- كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، خيره الله تعالى بين أن يكون ملكاً نبياً أو يكون عبداً نبياً فاختار أن يكون عبداً نبياً.
- كان ينامُ على الفراش تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة . قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (دخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر؟ قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى. فقال يا عمر: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟! قال : بلى. قال: هو كذلك.
- وكان من زهده صلى الله عليه وسلم وقلة ما بيده أن النار لم تكن توقد في بيته في الشهر والشهرين، فعن عائشة . رضي الله عنها . أنها كانت تقول لعروة بن الزبير: والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان . التمر والماء .).
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءاً، وكان أكثر خبزهم الشعير). وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخر شيئا لغد.

❾ صبر النبي صلى الله عليه وسلم:

- كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على الأذى في حق نفسه، وأما إذا انتهكت حدود الله فلم يكن يقوم لغضبه شيء. وهذه الشدة مع المنتهكين لحدود الله خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ...﴿٢٩﴾ ﴾ .
- ومن صور صبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ، والأخشبان: جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان .
- ومن ذلك ما رواه طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز فمَرَّ وعليه جبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: " يا أيها الناس!
- ومن ذلك ما رواه طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز فمر وعليه جبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: " يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله - تفلحوا" ، ورجل يتبعه بالحجارة وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس! لا تطيعوه فإنه كذاب؛ قلت: من هذا؟ قالوا: غلام من بني عبد المطلب، قلت: فمن هذا يتبعه يرميه؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى أبو لهب.
- عن الحارث بن الحارث الغامدي قال: حججت مع أبي فلما كنا بمنى إذا جماعة على رجل! فقلت: يا أبة! ما هذه الجماعة؟ فقال: هذا الصابيء الذي ترك دين قومه، ثم ذهب أبي حتى وقف عليهم على ناقته، فذهبت أنا حتى وقفت عليهم على ناقتي، فإذا به يحدثهم وهم يردون عليه، فلم يزل موقف أبي حتى تفرقوا عن ملال

وارتفاع من النهار، وأقبلت جارية في يدها قدح فيه ماء ونحرها مكشوف، فقالوا: هذه بنته زينب، فناولته وهي تبكي، فقال: "خمري عليك نحرك يا بنية ! ولا تخافي على أبيك غلبة ولا ذلاً.

⑩ مزاح النبي صلى الله عليه وسلم :

- وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمزح ولكنه لا يقول إلا حقاً. مازح امرأة عجوزاً يوماً، فقال لها حين سألته فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسولَ الله احمِلْنا على بعير. فقال أحْمِلُكُمْ على وَلَدِ الناقةِ. قال: وما نَصْنَع بولدِ الناقةِ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: هل تَلِدُ الإبلَ إلا النُّوقُ ؟). وقال : وسمعته يقول لامرأة : «زوُجكِ ، ذلك البياضُ في عينيه ؟ قالت: عَقْرَى، ومتى رأيتَه ؟ قال : وهل من عين إلا وفيها بياض».
- وعقري ، تعني جعلها الله عاقراً لا تلد، يستعملها العرب للدعاء على الشخص، ولا يريدون حقيقة ذلك، بل مثل قولهم: لا أُمَّ لك. كناية عن عدم الرضا بالأمر.
- وعن أنس بن مالك أن رجلا من أهل البادية يقال له : زاهر بن حرام كان يهدي إلى النبي صلى الله عليه و سلم الهدية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (إن زاهرا بادينا ونحن حاضروه) قال : فأتاه النبي صلى الله عليه و سلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره فقال : أرسلني من هذا ؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي صلى الله عليه و سلم جعل يلزق ظهره بصدره فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (من يشتري هذا العبد) ؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدا قال : (لكنك عند الله لست بكاسد) أو قال صلى الله عليه و سلم : (بل أنت عند الله غال)

⑪ حياؤه صلى الله عليه وسلم :

- كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ.
- عن أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ، دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ؛ فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا؛ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ...﴿٥٣﴾ ﴾

- وكان يقول: إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاء.
- غير أن حياءه لم يكن يمنعه من قول الحق والغضب له إلا إنه لم يكن يواجه أحدًا بما يكره، لهذا وصفه الصحابة بأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا كره شيئًا عُرف في وجهه إشارة إلى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهيته لذلك.

❷ ❶ عدل النبي صلى الله عليه وسلم :

- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ :« وَيْحَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يَجُوزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ...).
- ومن صور عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته لشرع الله تعالى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بصَحْفَة فيها طعام، فَضَرَبتِ التي هو في بيتها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- فِلَق الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غَارتْ أُمُّكم، [غارتْ أُمُّكم]، ثم حبس الخادم، حتى أُتيَ بصَحفَة من عند التي هو في بيتها ، فدفعها إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي كَسَرَتْها»
- و قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت : (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها).

❸ ❶ أخلاقه صلى الله عليه وسلم مع أهله :

- كان صلى الله خير الناس لأهله، وقد تمثل ذلك في طيب كلامه، وحسن عشرته لزوجاته وبإكرامه واحترامه لمشاعرهن، قال عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).
- وكان من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يتودد إليهن، ويرأف بهن، ويمازحهن، تروي السيدة عائشة رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- فِى سَفَرٍ وَهِىَ جَارِيَةٌ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ :« تَقَدَّمُوا ». فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ :« تَعَالِ أُسَابِقْكِ ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِى فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ خَرَجْتُ أَيْضًا مَعَهُ فِى سَفَرٍ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِ أُسَابِقْكِ ». وَنَسِيتُ الَّذِى كَانَ وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ فَقُلْتُ وَكَيْفَ أُسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ :« لَتَفْعَلِنَّ ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِى فَقَالَ: (هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ).
- وتروي السيدة الطاهرة عائشة أم المؤمنين أيضاً فتقول: والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو).

- وتقول في عمل النبي في بيته: (كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة). وتقول أنه صلى الله عليه وسلم: (كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم). ومن دلائل احترامه الكبير، وحبه الشديد لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان يذبح الشاة ثم يهديها إلى صديقاتها، وذلك بعد مماتها.

❹❶ أخلاقه صلى اللّه عليه وسلم مع الأطفال :

- فعن أنس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم.
- وكان صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه.
- وكان صلى الله عليه وسلم يحمل ابنة ابنته (أمامة بنت زينب) وهو يصلي بالناس، إذا قام حملها وإذا سجد وضعها.
- وجاءه الحسن والحسين رضي الله عنهما وهو يخطب في الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى وضعهما بين يديه.
- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ : أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- :« أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ » .

❺❶ أخلاق النبي صلى اللّه عليه وسلم مع الخدم :

- كان النبي صلى الله عليه وسلم لطيفا رحيماً في تعامله مع خدمه إلى أبعد الحدود، فعن أنس رضي الله عنه قال" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا).
- وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله).

❻❶ هديه صلى اللّه عليه وسلم في الرفق بالحيوان :

- كان النبي صلى الله عليه وسلم رفيقاً بالحيوان، ويوصي أتباعه بذلك، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).
- ولما مرَّ ابن عمر رضي الله عنهما ببعض فتيان قريش وقد نصبوا طائراً غرضاً، ليرموه بالنبل، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئةٍ من نبلهم! تفرق أولئك الفتية لما رأوا ابن عمر خوفاً من إنكاره وغضبه، فقال ابن عمر من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: دخلت امرأة النار في هر ربطته فلا هي أطعمته ولا هي أرسلته يأكل من خشاش الأرض حتى مات ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر... وبينا رجل راكب بقرة التفتت إليه فقالت : إنى لست لهذا خُلقت إنما خلقت للحرث ، ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر.

- وختاماً نقول: إن هذه الصور لم تكن سوى غيض من فيض عن أخلاق الحبيب محمد صلوات ربي وسلامه عليه، وإن المجلدات العظام لن تحيط بوصفها. إن البشر مهما قالوا، ومهما كتبوا عن أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم فلن يبلغوا ثناء الله عليه وعلى أخلاقه. إن إلهنا العظيم عندما يصف خلق الحبيب بأنه عظيم {وإنك لعلى خلُقٍ عظيم} ، فماذا عسى أن يبلغ وصف البشر لأخلاقه صلى الله وسلم عليه.
- غير أن الذي يجب أن لا نغفل عنه هو السعي في إحياء هذه الأخلاق النبوية في حياتنا، فنتحلى بها، ونربي عليه أولادنا، وندعو إليها بين المسلمين، بل نسعى لنشرها بين غير المسلمين، خصوصاً في هذا الوقت الذي كادت الأخلاق الحميدة والمثل العليا أن تختفي من حياة الناس، وأصبحت المادة والمصلحة هي الغاية القصوى من الوجود، إن البشرية اليوم ظامئة، وهي بأمس الحاجة إلى إحياء هذه القيم السامية في واقع حياتها.
- إننا حين نعرف الآخرين بمحمد عليه الصلاة والسلام، من هو؟ ولماذا نتخذه أسوة ومثلاً في حياتنا؟ نكون قد قدمنا لهم وللإسلام أعظم خدمة يمكن تقديمها اليوم.
- نسأل الله أن يخلقنا بأخلاق نبيه الكريم، وأن يعيننا على نشرها والدعوة إليها.

المحاضرة الثامنة : أخلاق المهنة و مدة الحاجة إلى دراستها

مفهوم المهنة :

المِهنَة لغة : بكسر الميم وفتحها ، والفتح أشهر . وتطلق على بذل النفس في الخدمة والحذق فيها .

- وبهذا المعنى ورد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ما على أَحَدِكم لو اشترى ثَوْبَيْن ليوم جمعته سوى ثَوْبَي مَهْنَته). أي سوى ثوبي الخدمة والعمل ، إذ إن ثوب الخدمة والعمل يكون مبتذلاً ولا يصان ، ولا تتم المحافظة على نظافته .
- وبهذا المعنى أيضاً ما ورد عَنْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين سئلت عن مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ فقَالَتْ: "كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ". وفي حديث آخر قالت: "كان يفعل ما يفعل أحدكم في مهنة أهله ، يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويرقع دلوه".
- تطلق المهنة في اللغة أيضاً على : الحذق والمهارة في العمل أو الحرفة التي يمتهنها صاحبها.

المِهنَة في الاصطلاح المعاصر تطلق على : الحرفة التي تشتمل على مجموعة من المعارف العقلية ومجموعة من الممارسات والخبرات التدريبية ، يؤديها الفرد من خلال ممارسته للعمل .

- وهي عمل يحتاج إلى معارف عقلية وخبرة ميدانية . كالطب ، والهندسة ، والتدريس ، والمحاسبة .

مرادفات لفظ المهنة : هناك ألفاظ قريبة في معناها من المهنة وربما التبست بها، وهي:

❶ الحرفة :

- الحِرفة لغةً: بالكسر؛ الصنعة أو وسيلة الكسب التي يَرْتزق منها المرء بصفة مستمرة، من زراعة أو صناعة أو تجارة، وتحتاج إلى تدريب قصير.
- وسميت بذلك لأنه مُنْحرِف إليها. ويقال حِرْفَتُهُ أنْ يفعل كذا: أي؛ دأبه وديدنه.
- والاحتراف: هو الاكتساب.
- وليس لها معنى اصطلاحي خارج عن المعنى اللغوي.
- وغالباً ما تستعمل في الأعمال اليدوية سواء كانت بآلة أو بغير آلة.

من ذلك ما ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما استُخْلِف، وكان تاجراً، فأراد أن يخرج لتجارته، فقال له عمر: إلى أين؟ قال: أحترف لأهلي. قال: ومن لمصالح المسلمين وإدارة شؤونهم. ارجع ويُصرف لك من بيت المال حاجتك، فرجع فجعلوا له ألفين. فقال: زيدوني فإن لي عيالاً، وقد شغلتموني عن التجارة، فزادوه خمسمائة. وقال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه "لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحتَرِفُ –أي أبو بكر– لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ". فعمل أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه كان في التجارة، وقد سماه حرفة.

❷ العمل :

- **العمل** لغةً: يُطلق على المهنة ، وعلى الفعل .

۞ الفارق بينه وبين المهنة أو الحرفة :

- أن **العمل** قد يكون من الإنسان أو الحيوان ، و **الحرفة** لا تكون إلا من الإنسان. فالثور الذي يحرث الأرض يعمل، والطائر الذي يبني لنفسه عشاً يعمل، ولكن لا يُقال إنه محترفٌ أو ذو مهنة .
- **العمل** قد يكون ذهنياً ، وقد يكون بدنياً ، وأما **الحرفة** فالغالب أنها تُطلق على الأعمال اليدوية .
- **العمل** يستعمل للمرة الواحدة ولأكثر ، ولا يحتاج إلى التدريب ، بخلاف **المهنة** أو **الحرفة** فلا بد فيها من التدريب والاستمرارية .

❸ الصنعة :

- **الصنعة** لغة: ترتيب العمل وإحْكامه على النحو الذي تعلمه ، وبما يوصل إلى المقصود منه.
- فيقال للنجار صانع ، ولا يقال للتاجر صانع ؛ لان النجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب وبالأسباب التي توصل إلى المقصود منه ، والتاجر لا يعلم إذا اتجر أنه سيصل إلى ما يريده من الربح أو لا .
- فالعمل لا يقتضي العلم بما يعمل له ، بخلاف الصنعة فإن .

۞ الفرق بين الصنعة و العمل :

- **العمل** يُطلق على ما يصدر من الإنسان أو الحيوان ، بينما لا تُطلق **الصنعة** إلا على ما صدر من الإنسان فحسب.
- **العمل** يُطلق على ما يكون بقصد وعلم، و **الصنعة** لا تُطلق إلا على ما كان بإجادة ، وفيه معنى الحرفة.
- **الصنعة** أخص و **العمل** أعم.
- كل صنعةٍ عملٌ ، وليس كل عملٍ صنعةً .

❹ الوظيفة :

الوظيفة لغةً: ما يقدَّر من عمل أو طعام أو رزق في زمن معيَّن، وتأتي أيضاً بمعنى الخدمة المعيَّنة.

- في الاصطلاح المعاصر: تطلق على وحدة من وحدات العمل، تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل، ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر. كالمحاسبة في شركة مثلاً فإنها وظيفة، تحتوي على مجموعة من الأنشطة من جمع للبيانات والفواتير، وتصنيفها وإدخالها في الحاسوب، وجمعها، وإجراء المقابلة والمقاصة بين الوارد والصادر ثم إخراج النتيجة النهائية لليوم، ثم للشهر، ثم للسنة، وهكذا... وقد يكون للشركة محاسب واحد أو مجموعة من المحاسبين.

خصائص المهنة : للمهنة جملة من الخصائص أهمها:

١. تقديم خدمات أساسية ومفيدة للمجتمع.

٢. حاجتها إلى الإعداد العلمي من خلال برامج ذات أهداف محددة واضحة، ومن جهات علمية معترف بها.

٣. لكل مهنة معارف ومهارات خاصة بها.

٤. لكل مهنة قوانين وآداب تنظم وتحكم العمل بها.

٥. غالباً ما توجد في وقتنا الحالي تجمع للعاملين بالمهنة يتحدث باسمها ويدافع عنها.

٦. لكل مهنة معالمها الواضحة تميزها عن غيرها من المهن.

الحكم الشرعي للمهنة :

إن من يقرأ في كتاب الله تعالى ، أو في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، يجد أن الإسلام يحث على العمل ، ويرفع من شأنه. كما أن من يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة، أو غيره من الأنبياء، أو يقرأ في سير الخلفاء الراشدين، أو الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، أو في سير سلف الأمة وأئمتها، يجد أنهم جميعاً قد مارسوا مختلف المهن من تجارة ورعي وزراعة وخياطة وحدادة وغيرها. من ذلك:

- قَالَ تَعَالَىٰ: عن نبيه داود عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ واللبوس: الدروع .
- يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده). ويقول: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة). فهذه النصوص تدل على مدى حث الشريعة على العمل.
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كان آدم عليه السلام حراثاً (زراعاً)، وكان إدريس خياطاً، وكان نوح نجاراً، وكان هود تاجراً، وكان إبراهيم راعياً (وورد بزازاً أي تاجراً يبيع الملابس)، وكان داود زراداً (أي حداداً)، وكان سليمان خواصاً، وكان موسى (راعياً) أجيراً، وكان عيسى سياحاً، وعمل محمد صلى الله عليه وسلم في التجارة والرعي كما أخبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم".
- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا ؛ سقط من عيني". وفي هذا القدر كفاية، إذ ليس الغرض الحصر والاستقصاء.

تعريف أخلاق المهنة :

تعني أخلاق المهنة تلك التوجيهات النابعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها أفراد المجتمع ، والتي ينبغي للشخص أن يتحلى بها أثناء ممارسته للمهنة.

۞ الفرق بين أخلاق المهنة و أنظمتها :

عرفنا آنفاً أخلاق المهنة، وأما أنظمتها فهي تلك القوانين والتشريعات التي تحدد وتنظم عمل الممارسين للمهنة.

- أخلاق المهنة تهتم بما ينبغي فعله .
- أنظمة المهنة فتهتم بما يجب فعله .
- من يخالف الأخلاق يستحق اللوم والعتاب .
- من يخالف الأنظمة فإنه يستحق العقوبة أيضاً مضافاً إلى اللوم والعتاب .

۞ مصادر أخلاق المهنة :

- إن مصدر أخلاق المهنة عندنا نحن المسلمين إنما هو ديننا الحنيف. فالدين بما يدعو إليه من مكارم الأخلاق، وإتقان العمل ، ومراقبة الله عز وجل في كل شأن ، هو مصدر الأحكام والأخلاق .
- وهو المصدر لكل شيء مستحسن في الحياة، وهو المرشد والموجه.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾

فهذه الآيات وغيرها كثير، تؤكد أن الحياة السعيدة الهانئة الطيبة إنما هي في إتباع شرع الله، وليس غيره، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

- وإذا كانت هناك آداب وأخلاقيات للمهنة مستوحاة من الأعراف، أو مما لدى الأمم الأخرى، فإنه لا مانع منها، ما دامت لا تتعارض مع ما جاء به الشرع ؛ لأن الشرع قد أذن بذلك.

۞ مدى الحاجة إلى دراسة أخلاق المهنة :

- لكل مهنة أخلاق وآداب عامة تحددها القوانين واللوائح الخاصة بها، ومن خلال مراعاتها تتم المحافظة على المهنة ومكانتها. وكثيراً ما تجمع هذه الآداب والأخلاق في وثيقة واحدة، يطلق عليها ميثاق الشرف المهني.
- ومن المعلوم أن مجموع المهن في المجتمع هي الأداة المنفذة لأهداف وتطلعات أبنائه، فإذا فقد العاملون فيها الآداب والأخلاق، كان ذلك نذير شؤم عليهم، ودليلاً على قرب نهايتهم، إذ كما قال الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

- وتزداد أهمية أخلاق المهنة في عصرنا الحالي، نظراً لاتساع سلطان العلم وما رافقه من تقنيات معاصرة بشكل مذهل، ولتضاعف مجالات العمل أضعافاً كثيرة عن العصور السابقة، وقد رأينا كيف أن العلم استغل

استغلالاً سيئاً من قبل بعض المجتمعات، فأصبح وسيلة للإفساد والتدمير والعبث بمصير البشرية والبشر، فمن القنابل النووية إلى الهيدروجينية، إلى الصواريخ العابرة للقارات، إلى غزو الفضاء من خلال الأقمار التجسسية، إلى التلاعب بالجينات الوراثية والاستنساخ ... وهكذا.

- وقد شعر كثيرون من رجال العلم والفكر في العالم بخطورة الأمر، فدعوا إلى وضع ميثاق شرف أخلاقي لكل مهنة، من شأنه أن يحمي سمعتها، ويحافظ عليها من الانحراف والاستغلال.

صفات الميثاق الأخلاقي :

لكي يحقق الميثاق الأخلاقي أهدافه يجب أن يتصف بما يلي:

١. أن تكون مواده منسجمة مع قيم المجتمع ومبادئه.
٢. أن تكون مختصرة.
٣. أن تكون سهلة وواضحة.
٤. أن تكون معقولة ومقبولة من الناحية العملية.
٥. أن تكون شاملة.
٦. أن تكون إيجابية.

المحاضرة التاسعة : الأخلاق الجامعة للمهنة

التمهيد :

- للمهنة عناصر أربعة هي : ❶ العامل ❷ رب العمل ❸ المستفيد ❹ المجتمع
- ويُقصد بأخلاق المهنة هنا تلك الصفات التي تنشد الكمال في هذه العناصر الأربعة .
- ولما كانت ممارسة المهنة تتم في إطار التزام قانوني أو تعاقدي فإنه غالباً ما يشتمل هذا القانون أو العقد على بعض الخصال باعتبارها التزاماً واجباً . ومن ثمَّ فإننا سنستبعد هذه الخصال عن محل البحث . كما سنستبعد الأخلاق العامة كبر الوالدين والإحسان للجار بل سنقتصر على ما له صلة بكمال المهنة كما أسلفنا.
- وسنجمع هذه الأخلاق [أخلاق المهنة] في خمس مجموعات هي :

❶ الطهارة المهنية ❷ الاستقامة المهنية ❸ التعاون المهني

❹ الأمانة المهنية ❺ المحبة المهنية

❶ الطهارة المهنية :

- **الطهارة لغة :** مصدر يدلّ على النقاء والنظافة وزوال الدنس والتنزه .
- **الطّهارة في الاصطلاح :** لا تخرج عن المعنى اللغوي .

وهي على ضربين : طهارة حسية ، وطهارة معنوية .

- **الطهارة الحسية :** وتتحقق برفع الحدث أو إزالة النجس أو ما في معناهما وعلى صورتهما .
- **الطهارة المعنوية :** وتتحقق بترك الذّنب وتنقية النّفس من العيوب . ويدخل تحتها أيضاً ، الطهارة المهنية. أي؛ تطهيرها وتنزيهها عن النقائص. ويتحقق ذلك من خلال المحافظة على أمرين:

١) السمعة الطيبة : وذلك من خلال التنزه والتطهر للمهنة من قبل من يقدمها.

٢) جودة الأداء : وذلك من خلال تنزيه المهنة نفسها عن العيوب والنواقص .

شروط الطهارة المهنية : يشترط في المهنة لتتصف بالطهارة أن تتوافر فيها ما يأتي:

١) أن يكون كل من العامل ورب العمل صاحب صفحة بيضاء في سجل المهنة ، ويحرص على استمرارها كذلك [شهادة حسن سلوك] . فلو عرف عن قاض قبوله للهدية تلوثت صفحته المهنية ، ولو عرف عن طبيب تتبعه لعورات النساء تلوثت صفحته المهنية ، وهكذا الموظف الذي يرتشي ، والتاجر الغشاش

٢) أن يلتزم كل من طرفي المهنة العامل ورب العمل بالقواعد المنظمة لممارستها، فرب العمل يحصل على ترخيص مزاولة المهنة قبل ممارستها، ولا يتعاقد مع غير المستوفين لشروط التعيين [من مثل السن القانونية والمؤهل الدراسي وغيرها] وإلا تلوثت صفحته المهنية. والعامل يكون حاصلاً على المؤهل الدراسي في المهن التي تشترطه كالطب والصيدلة مثلاً .

٣) أن يكون لدى العامل خبرة كافية في الأعمال التي يستلزم ممارستها تلك الخبرة كالعمليات الجراحية مثلاً فلا يقوم بها إلا ممارس، وكالمناقصات أو المزايدات الكبيرة فلا يقوم بها عامل مبتدئ، وكإنتاج المصنوعات التي تحتاج إلى تقنية عالية فلا يشرف عليها إلا خبير .

٤) أن يشتهر عن صاحب المهنة [سواء أكان عاملاً أو رب عمل] الحرص على الإتقان وعدم إجازة المنتج إلا في درجة عالية من الجودة .

فإذا افتقد أي شرط من هذه الشروط كان ذلك مسًّا بخلق الطهارة المهنية .

التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية :

لا تقوم مهنة معتبرة بغير طهارة ، ومن ثَمَّ كان الحد الأدنى من هذه الطهارة ضرورة لازمة ، لعدم قيام المهنة إلا به . وهو ما استلزم مع مرور الزمن وتطور الأحوال صدور القوانين المنظمة للمهن، كما تطلَّب وضع صيغٍ للعقود تتضمن نصوصاً في شكل بنود إلزامية مباشرة ، أو غير مباشرة كالإحالة إلى عرف ونحوه ، فتحولت تلك الصفات الأخلاقية الحميدة من كونها أخلاقاً كريمة إلى التزام يوجب مخالفته مساءلة قضائية بعد أن تم النص عليها .

ولما كان من غير الممكن الإحاطة بخصال الطهارة المهنية من خلال تلك القوانين والعقود ، كان الحد الزائد عن الواجب هو المراد بخصال الطهارة المهنية، وهو الذي يدخل في أخلاق وآداب المهنة، ويترتب على الإخلال بها المساءلة الأخلاقية دون القضائية .

وهنا يجب علينا أن ننبه لأمرين :

أولاً : لكل مهنة ما يناسبها من أخلاق الطهارة المهنية ، فما هو مطلوب لمهنة القضاء قد يختلف عن ما هو مطلوب لمهنة الطب أو الصيدلة أو التجارة وهكذا. وما يلزم للقاضي للحفاظ على سمعته الطيبة ، يختلف عن الذي يلزم للطبيب، أو للتاجر، ويقال الشيء نفسه عن آداب ممارسة المهنة .

ثانياً : المقصود هنا ما يؤثر على سمعة المهنة وطهارتها ، وليس الأوجه التي لا شأن لها بالمهنة كسمعته بين أهله أو لدى جيرانه مثلاً .

أدلة الطهارة المهنية :

يدل لخلق الطهارة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث كثيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها:

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ... ﴿٨٨﴾ ﴾ والإتقان والجودة معنى من معاني الطهارة المهنية. ومنها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ ومنها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ وغيرها كثير .

٢ – قوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). وهذا في معنى الآية السابقة من حيث الدلالة على طلب الإتقان في العمل، وجودة الأداء.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...). فيه الدلالة على أهمية السمعة الطيبة والسلوك القويم، وهو من معاني الطهارة المهنية كما تقدم، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من غش فليس منا).

مظاهر الطهارة المهنية عند الفقهاء :

تكلم الفقهاء عن الطهارة المهنية التي تعني السمعة الطيبة ، والسيرة الحميدة ، وجودة الأداء والإتقان . ولنأخذ أمثلة من باب القضاء على سبيل التمثيل والبيان وليس الحصر :

- قال الفقهاء ببطلان تولية الفاسق القضاء مع وجود العادل للحفاظ على سمعة القضاء وسمعة القاضي، ولتحقيق جودة الأداء في الحكم، ولا يخفى أنهما من خصال الطهارة المهنية .
- وقال الفقهاء يحرم تولية الجاهل القضاء مع وجود العالم للحفاظ على جودة الأداء وهي من خصال الطهارة المهنية .
- ومثلهما ما ذهبوا إليه من كراهة تولية المفضول القضاء مع وجود الفاضل (أو الأفضل) للحفاظ على جودة الأداء أيضاً .
- ومثل هذه المسائل نجدها أيضاً في باب الإمامة في الصلاة ، وفي الولاية في النكاح، وفي الولاية على المال للقصر (من مجانين وسفهاء ويتامى)، وفي ناظر الوقف، وفي ولاية الحسبة وغيرها.
- ومن هذا الباب ما نجده من طلب جهات التعاقد شهادة حسن السلوك من الطالب والمدرس والموظف، ومنه ما نجده في بعض المواثيق من النص على أنه يفصل من العمل من يرتكب ما يخل بالآداب العامة في مكان الوظيفة، كسرقة مثلاً، أو جريمة تمس الشرف أو الأخلاق أو الأمانة من غير حاجة إلى إعلان. وهكذا.

المحاضرة العاشرة : الأخلاق الجامعة للمهنة

- وسنجمع هذه الأخلاق [أخلاق المهنة] في خمس مجموعات هي :

❶ الطهارة المهنية ❷ الاستقامة المهنية ❸ التعاون المهني

❹ الأمانة المهنية ❺ المحبة المهنية

الاستقامة المهنية

معنى الاستقامة :

- **الاستقامة لغة :** مشتقة من القيام، وتعني الثبات والدوام والملازمة والاستمرار على الشيء، كما أنها تفيد معنى الاعتدال والاستواء .
- فمن الأول : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ فما استمر وثبت أولئك المشركون معكم على العهد ، فاستمروا أنتم معهم واثبتوا .
- ومن الثاني : قول النبي صلى الله عليه وسلم للمأمومين خلفه في صلاة الجماعة: (أقيموا صفوفكم). أي اعتدلوا واستووا ولا تختلفوا.
- **والاستقامة المهنية في معناها الاصطلاحي :** تعني الاعتدال والاستواء في أداء المهنة من جهة، ومن جهة أخرى ملازمة المهنة والوفاء بمصالحها من الطاعة والمشورة والصدق.

شروط الاستقامة المهنية :

لكي تتحقق الاستقامة المهنية [أي الاعتدال والاستقرار والوفاء بمصالحها] لابد من توافر الشروط التالية :

١) أن يحرص كل طرف منهما (العامل ورب العمل) على الآخر. ففي الحديث القدسي يروي النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه: (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما).

٢) مطاوعة الزملاء في العمل. ففي الحديث أن النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، بعث أَبَا مُوسى الأشعري وَمُعَاذ ابن جبل إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ لهما: (يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا ولا تختلفا).

٣) طاعة الرؤساء في المهنة . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ... ﴿٥٩﴾ ﴾

٤) عدم التغيب عن العمل إلا في حالات الضرورة لأن الله تعالى أمر بالوفاء بالعقود، وهو من مقتضى الوفاء بالعقود . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ .

٥) الالتزام بمنهج الشورى في الوظائف التي تصنع السياسات المهنية وتضع الخطط، وعدم الاستبداد بالرأي لقول الله تعالى مخاطبا نبيه : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ ، فإذا كان النبي وهو المسدد بالوحي مطالباً بالشورى فكيف بغيره .

٦) الالتزام بالصدق لقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

التوجيه الفقهي لخلق الاستقامة المهنية :

- ما أسلفناه في حديثنا عن الطهارة المهنية من ضرورة توافر الحد الأدنى منها يقال هنا أيضاً وفي كل خصال أخلاق المهنة، فالحد الأدنى لا بد منه، وقد نصت القوانين والعقود عليه، فخرج من مجرد خصال أخلاقيات إلى واجبات ملزمة يترتب على الإخلال بها مسؤولية قضائية، غير أن القوانين والعقود لا تستطيع أن تفي بكل خصال الاستقامة المهنية، لأن العقود تستحدث باستمرار والوقائع تتجدد دائماً، فكان الناس بحاجة إلى المزيد من هذا الخلق، بحيث يتحقق المقصد من هذا الخلق.
- وننبه هنا أيضاً إلى ما أسلفناه في خلق الطهارة المهنية من أن :

١) الاستقامة المهنية تختلف في بعض جوانبها من مهنة إلى أخرى ، أي أن الاستقامة المهنية المطلوبة من القاضي تختلف في بعض جوانبها عن المطلوبة من الطبيب أو التاجر أو المدرس .

٢) كما أننا لا نبحث هنا إلا في الاستقامة ذات العلاقة بالمهنة وما يؤثر فيها، ولا شأن لنا بعلاقاته الأسرية أو الاجتماعية .

أدلة الاستقامة المهنية :

دلت آيات وأحاديث كثيرة على طلب هذا الخلق من المسلم من ذلك:

- قوله تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فالآية تطلب الاتصاف بهذا الخلق صراحة من الرسول وممن معه من المؤمنين، وهي عامة، ويدخل فيها الاستقامة المهنية لأنها فرع عنها. وفي هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جاء إليه يقول: يَا رَسُولَ اللهِ ، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ : قُلْ : (آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ).
- قوله تعالى في صفات عباد الرحمن: [وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا] أي اعتدلوا من غير إفراط ولا تفريط، وهذا من خلق الاستقامة.
- قوله تعالى: : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] ، وكذا ما ورد في طاعة ولاة الأمر والتزام منهج الشورى وقد تقدمت تلك الآيات، كما أنها جميعاً قد تأكدت بالأحاديث الواردة في معناها والتي تدل على طلب هذه الخصال الخلقية .
- ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار) (وعليكم بالسمع والطاعة وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي ..) وغيرها كثير .

مظاهر الاستقامة المهنية عند الفقهاء :

تكلم الفقهاء عن مظاهر الاستقامة من خلال ذكرهم للفروع الفقهية وتناولهم لأحكامها ، وفيما يلي ذكر لبعض هذه المظاهر :

١- الغبن في المعاوضات المالية :

والغبن يعني الخديعة ، ويترتب عليه عدم التعادل في التزامات الطرفين حيث يتم استغلال أحدهما للآخر نتيجة لاسترساله وعدم معرفته بأصول المعاملة وقواعدها. وقد حرم الإسلام هذا السلوك لمنافاته للعدل فقال صلى الله عليه وسلم (غبن المسترسل حرام)، وورد في بعض الروايات: (ربا). وحين أخبره شخص أنه يغبن في بيعه فقال: (إذا بايعت فقُلْ لَا خِلَابَةَ) أي لا خديعة. أي اشتريت منك بشرط أن لا تكون قد خدعتني، فإذا تبين أنك قد خدعتني فلي الخيار في إبطال البيع إلى ثلاثة أيام.

٢- التطفيف في المكيال والميزان :

ويعني التلاعب بها ببخسها وأكل أموال الآخرين بغير حق وهو ظلمٌ وينافي العدل الذي أمر الله به. قال تعالى: {إن الله يأمر بالعدل} وقال تعالى: { ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون} . فالتطفيف ينافي خلق الاستقامة المهنية التي من خصالها العدل والمساواة.

٣- الالتزام في المهنة :

أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بأداء المهنة على وجهها المعروف في صور المعاوضات، وعدم الإخلال بمتطلباتها لقولة تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ] {المائدة:١} . ولا يخفى ما لهذا من أثر طيب وإيجابي على تحقيق الثبوت والدوام والاستقرار للمعاملات، وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية.

٤- الشورى في المهنة :

والشورى مراجعة الآخرين من أهل الاختصاص والخبرة لأخذ رأيهم في الموضوع الذي ينظر فيه للعمل بموجبها. وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية، ومطلوبة لقوله تعالى : {وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله} . ولقوله تعالى في صفات المؤمنين: {وأمرهم شورى بينهم} وقد رأينا صوراً كثيرة من ذلك في سيرة الرسول وخلفائه الراشدين .

المحاضرة الحادية عشر : الأخلاق الجامعة للمهنة

- وسنجمع هذه الأخلاق [أخلاق المهنة] في خمس مجموعات هي :

❶ الطهارة المهنية ❷ الاستقامة المهنية ❸ التعاون المهني

❹ الأمانة المهنية ❺ المحبة المهنية

خلق التعاون المهني

تعريف التعاون المهني :

- التعاون لغة : هو المساعدة، من عاونه وأعانه إذا ساعده. والمعاون هو المساعد. والمعاونة هي: المساعدة.
- التعاون المهني في معناه الاصطلاحي يعني: المساعدة على أدائها.
- أي المساعدة في إيجاد المهنة بروح الفريق الواحد، وما يستلزمه ذلك من تسييد معاني الأخوة والاحترام وسياسة الصبر، ثم الارتقاء إلى مراتب التناصح والتنافس.
- أي أن على أصحاب المهنة أن يسعوا في واقعهم إلى تحقيق أمرين اثنين هما:
- تسييد معاني الأخوة والاحترام وسياسة الصبر بين أطراف المهنة من عاملين وأرباب عمل أو رؤساء.
- الارتقاء إلى درجات التناصح والتنافس باعتبارها ثمرة لتسييد معاني الأخوة والاحترام وسياسة الصبر.

شروط التعاون المهني :

لابد لتحقيق معاني الأخوة والاحترام والصبر والتناصح والتنافس من توافر الشروط التالية :

١- استحضار معنى الأخوة مع زملاء المهنة لقوله تعالى: {إنما المؤمنون أخوة}.

٢- إنكار الذات والترفع عن الأنانية لكونها من الصفات الشيطانية كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه).

٣- السماحة في المنهج كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى سمحاً).

٤- الصبر على المكاره لقوله تعالى: [إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ]

٥- بذل النصيحة لقوله صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة. قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم).

٦- المنافسة الشريفة لصالح المهنة ولما فيه خيرها كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (من قتل قتيلا فله سلبه).

التوجيه الفقهي لخلق التعاون المهني :

- كما أسلفنا في الخصال السابقة (الطهارة المهنية والاستقامة) فإن الحد الأدنى من هذا التعاون أيضاً ضروري وإلزامي بنص القانون أو العقد ، والإخلال به يستوجب مسؤولية قضائية، ويبقى ما فوقه مطلوبا من جهة الأخلاق ، ويستوجب مسؤولية أخلاقية .
- وأيضاً ننبه هنا إلى ما أسلفناه من قبل من أن التعاون المطلوب في كل مهنة بحسب طبيعتها، فالتعاون المطلوب بين المدرسين يختلف عن المطلوب بين الطبيب والمريض، أو طاقم الطائرة... وهكذا.
- كما أننا لا شأن لنا بالجوانب الأخرى التي لا تتصل بالمهنة كالتعاون بين أفراد الأسرة أو الجيران ... ونحو ذلك.

أدلة التعاون المهني :

يدل لخلق التعاون المهني أدلة كثير من القرآن والسنة، نذكر فيما يلي بعضاً منها:

- من القرآن الكريم: قوله تعالى: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ] .
- وقوله تعالى على لسان ذي القرنين: [قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا] .
- وقوله تعالى: [إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] .
- وقوله تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]
- فهذه الآيات واضحة الدلالة في الحث على التعاون والأخوة والصبر التي هي من جملة خصال خلق التعاون المهني.

مظاهر التعاون المهني عند الفقهاء :

هناك عقود ومهن كثيرة يتجلى فيها مظاهر التعاون المهني ذكرها الفقهاء في مصنفاتهم نكتفي بذكر بعض منها :

- الإقالة في العقود : وتعني نقض العقد وإبطاله برضا الطرفين بناءً على طلبٍ من أحدهما بعد إبرام العقد ولزومه وترتب آثاره . أي أن أحد الطرفين يبدي ندمه وتراجعه عن الإقدام على العقد من بعد لزومه وترتب آثاره ، فيستجيب له الآخر تقديراً لظروفه ، ومراعاة لحق الأخوة التي يحث عليه الشرع .
  - وقد أجمع الفقهاء على أن الإقالة مندوبة ؛ لأنها من باب التعاون على البر، ويقول فيها عليه الصلاة والسلام: (من أقال مسلماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة).
- والإقالة قد تكون بين متعاقدين في عقد بيع أو إجارة أو مريض مع طبيب، أو مهندس أو شركة للمقاولات مع من يريد إنشاء مبانٍ أو محلات تجارية، ولا شك أن ذلك من باب التعاون على البر، والاستجابة لدواعي الأخوة، وهما من خصال التعاون المهني.

المحاضرة الثانية عشر : الأخلاق الجامعة للمهنة

- وسنجمع هذه الأخلاق [أخلاق المهنة] في خمس مجموعات هي :

❶ الطهارة المهنية ❷ الاستقامة المهنية ❸ التعاون المهني

❹ الأمانة المهنية ❺ المحبة المهنية

الأمانة المهنية

تعريف الأمانة المهنية :

- الأمانة لغة : عكس الخيانة ، وتفيد الأمن والاطمئنان وعدم الخوف. وتطلق أيضاً على كل ما عهد به إلى الإنسان من حقوق أو واجبات أو حاجات للآخرين، فيطالب بالحفاظ عليها وإيصالها إلى ذويها سالمة. قال تعالى: [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا] وقال أيضاً: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] .
- والأمانة المهنية تعني في الاصطلاح : الحفاظ على المهنة بحفظ عهدها وعدم الخيانة فيها. وتتمثل في أصول ثلاثة هي :

١. ما يخص حقيقة المهنة : وذلك بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة بحسب طبيعة المهنة، مما يعرف عند الناس بأنه نقض للعهد، وإفشاء لأسرارها .
٢. ما يخص التصرف في المهنة : وذلك من خلال الحفاظ على مصالح المهنة الحقيقية، لا مصالحه الشخصية على حساب المهنة. فلا يسرف في الإنفاق فيما يستلزم الإنفاق، ولا يستغل مهنته أو منصبه ليقدم مصالحه الشخصية على مصالح المهنة.
٣. ما يخص وسيلة المهنة : سواءٌ في الوصول إليها أو في أدائها، فيجب أن تكون مشروعة لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، وللوسائل حكم المقاصد، فلا كذب ولا غش ولا نفاق ولا غيبة ولا نميمة.

شروط الأمانة المهنية :

من خلال تعريف المهنة يمكن وضع أهم الشروط التي يجب توافرها لتحقيق الأمانة المهنية ، وتلخيصها في الآتي:

- الشرط الأول : أن يحافظ جميع الأطراف على أسرار المهنة مما يعد إفشاؤه نقضاً للعهد.
  - ❖ فمثلاً الطبيب يطالب بالحفاظ على نوعين من الأسرار:
    - أ) ما يتعلق بجهة عمله كالمستشفى فلا يفشي أسرارها.
    - ب) ما يتعلق بالمريض ووضعه الصحي مما يعد سراً فلا يفشيه.
  - ❖ وعليه فلا يدخل في أسرار المهنة
    - ١) ما لا علاقة له بالمهنة كأن يعترف المريض أمام الطبيب بأنه قد ارتكب جريمة أو جناية في حق آخرين، أو اعتدى عليهم.

٢) ما لا يعد سراً بين الناس ولا يعد الكشف عنه نقضاً للعهد، كأن يذكر اسم المريض أو مهنته أو مكان إقامته .

٣) ما يعد سراً ولكن إفشاؤه في تلك الحالة مطلوب لجهة محددة لتعلق مصالحهم بالكشف عنها، وذلك كما لو أقد طرف على خطبة من آخر، فأجروا فحوصات طبية، فتم إجراؤها فيجب هنا الكشف عن حقيقة الوضع للأطراف، ولا يجوز إخفاؤها.

❖ المستشفى تحتفظ بنوعين من الأسرار :

١) ما يتعلق بالطبيب من حيث أجرته أو الجزاءات الإدارية الواقعة عليه مثلاً.

٢) ما يتعلق بالمريض مما يعد كشفه نقضاً للعهد، ومضراً به.

❖ والمريض يحتفظ أيضاً بنوعين من الأسرار:

١) ما يتعلق بالمستشفى أو الجهة الطبية من معاملة خاصة كتخفيض الأجر مثلاً ومراعاة ظروفه الخاصة.

٢) ما يتعلق بالطبيب كأن يكون قد عامله بصورة مخصوصة مثل السماح له بمراجعته خارج أوقات الدوام الرسمي، أو مراجعته في بيته ... أو غير ذلك مما يعد الكشف عنه مزعجاً للطبيب.

- الشرط الثاني : أن يلتزم أصحاب الشأن في المهنة الرشد في التصرف من غير إسراف أو استغلال .

❖ فمثلاً الطبيب لا يستغل ما وضع تحت تصرفه من الأجهزة في سبيل معالجة أصحابه وقرابته من غير إذن صاحب العمل، كما أنه لا يسرف في استعمال الأدوات الطبية التي وضعت تحت تصرفه.

❖ والمستشفى لا تستغل الطبيب في طلبه خارج أوقات دوامه في سبيل مصالحها، أو الكشف على مرضى غير مدرجين في قائمة عمله.

❖ والمرض لا يستغل فرصة وجوده مع الطبيب في السؤال عن أعراض مرضية يعاني منها بعض من يخصونه. وهكذا.

- الشرط الثالث : أن يلتزم أصحاب الشأن في المهنة السبل المشروعة التي تحفظ شرف الوسيلة لشرف المقصد ، فلا مجال للكذب ولا للنفاق ولا للغش ولا الغيبة ولا النميمة.

۞ التوجيه الفقهي لخلق الأمانة المهنية :

- ما ذكرناه سابقاً في الطهارة المهنية وما بعدها يتكرر هنا ومن ثمَّ فلا داعي لإعادته مرة أخرى. بمعنى أن الحد الأدنى من الأمانة المهنية ضرورية وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود، فإذا نحن هنا سنتناول ما وراء ذلك.
- كما أن الأمانة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، وكذلك لا شأن لنا بما وراء المهنة .

أدلة الأمانة المهنية :

يدل لخلق الأمانة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث نبوية كثيرة نذكر بعضها فيما يأتي:

- قال تعالى: [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا] وقال أيضاً: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] . فهذه الآيات تأمر بالحفاظ على الأمانات وأدائها على وجهها المطلوب، والأمانة المهنية جزء منها. وفي هذا أيضاً ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفات المنافقين: (وإذا أؤتمن خان).
- قال تعالى: [وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ] وفي هذا ما يدل على أنه ما كان ينبغي لهن الإفضاء بالسر الذي أسره النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أزواجه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) وقال أيضاً : (مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ). أي أنه لا يجوز نقل كلام الآخرين، وإفشاءه، حتى وإن لم يطلبوا كتمانها صراحة، أو يقولوا هذه أمانة، بل يكفي أن يفهم منهم ذلك بمجرد الإشارة والإيماء كالالتفاتة التي تومئ إلى أن صاحبها يريد أن يخفي الخبر عن الآخرين، ولا يريد أن يسمعه غير من يتحدث إليه.
- قال تعالى: [وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ... وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا] وقال تعالى: [وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ] فهذه الآيات تنهى عن صفات خلقية ذميمة من مثل الكذب والغش والغيبة واللمز وهي كلها متعارضة مع خلق الأمانة التي يجب التحلي بها، ومنها الأمانة المهنية.

مظاهر الأمانة المهنية عند الفقهاء :

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال الأمانة الخلقية نشير هنا إلى بعض منها:

- استغلال المهنة بالغلول وقبول الهدايا: والمقصود باستغلال المهنة، الانتفاع الشخصي منها بما يعد تهمة، أو مظنة تهمة.
- والغلول يعني أخذ شيء من مال الغنيمة أو غيره من الأموال المشتركة قبل أن يقسم. وسمي غلولاً لأن فاعله يخفيه في متاعه خيانة. وهو ناقض للأمانة. قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ] وقال صلى الله عليه وسلم: (من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخْيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (هدايا العمال غلول). أي ما يقدم إلى موظفي الدولة أو من في حكمهم من الهدايا والأموال بسبب أعمالهم أو مهنهم محرمة، وخيانة للأمانة، واستغلال للمهنة أو الوظيفة في سبيل مصالحه الشخصية.
- الغش في المهنة بالتصرية والنجش: الغش في المهنة يعني التدليس في أدائها بما يوهم السلامة، وادعاء كثرة راغبيها لإغراء الآخرين فيها، أو رفع الأجر عليهم.
- والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه التدليس والخداع في المهنة هو التصرية.

- والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه الادعاء بكثرة الطالبين للمهنة هو النجش.
- أما التصرية فهي ترك اللبن في ضرع الدابة حتى يزداد فيتوهم الراغب في الشراء أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها. ولا خلاف في تحريم هذا العمل لما فيه من الخداع والغش، والإخلال بالأمانة المهنية، وقد وردت الأحاديث في النهي عن الغش بصورة عامة، وعن التصرية بشكل خاص، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا تصروا الإبل والغنم ...). ويلحق بهذا كل عمل من شأنه خداع الآخرين، وإغرائهم بشراء السلعة مع كونها على خلاف ذلك في حقيقتها، كأن يستخدم أصباغ أو ألوان خادعة تخفي حقيقة وضع السلعة، أو نكهات تخفي حقيقة الطعم الأصلي، أو أنواع من زيوت المحركات لإخفاء وضع محرك السيارة ساعة من الزمن حتى يتم بيعها، وهكذا.
- وأما النجش فهو إبداء الرغبة في شراء سلعة لإغراء غيره، وإغلاء الثمن عليه، من غير أن يكون لديه نية حقيقية في الشراء. وهو حرام أيضاً لما فيه من خداع وتغرير للآخرين، وقد وردت الأحاديث النبوية الشريفة في النهي عنه، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (ولا تناجشوا). ويلحق بذلك ما يشبهه من حيث استثارة الناس، وإغرائهم بالشراء.

السفه في المهنة :

ونعني به التبذير في إنفاق المال وإسرافه، وهو ضد الرشد الذي هو إصلاح المال وتنميته والمحافظة عليه. فمن صور السفه مثلاً أن يستهلك الممرض أضعاف المطلوب من الشاش والمراهم في معالجة جرح مريض مثلاً، أو يستهلك أضعاف ما يحتاج من الوقود للسيارة، أو الأسلاك لتمديدات كهربائية ونحو ذلك. وقد طالب الشرع بالحجر على السفيه، فقال تعالى: [وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا]

ولا شك أن النهي عن هذه التصرفات (الغلول والرشوة والتصرية والنجش والإسراف) من شأنها أن تؤسس لخلق الأمانة المهنية.

المحاضرة الثالثة عشر : الأخلاق الجامعة للمهنة

- وسنجمع هذه الأخلاق [أخلاق المهنة] في خمس مجموعات هي :

❶ الطهارة المهنية ❷ الاستقامة المهنية ❸ التعاون المهني

❹ الأمانة المهنية ❺ المحبة المهنية

المحبة المهنية

تعريف المحبة المهنية :

المحبة تعني الميل والود والإيثار قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ] أي؛ إن اختاروا وآثروا وقدموا الكفر على الإيمان.

وللحب أنواع متعددة منها:

- حب عقيدة وإيمان : وهو حب الله ورسوله كما قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار).
- حب فطرة وطبع : كحب الولد والمال كما قال تعالى: [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ]

شروط المحبة المهنية :

تحقق خلق المحبة المهنية إذا توافرت الشروط التالية :

- تقديم المهنة على سائر المصالح الحياتية الأخرى ولا شك أن هذا من إتقان العمل الذي يحبه الله، ومن الإخلاص له والتفاني فيه.
- الانتصار للمهنة والدفاع عنها وعن العاملين معه وذلك بالمفهوم الذي نبه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا ، أَوْ مَظْلُومًا. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا نَصْرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ).
- إفشاء السلام لنشر المحبة بين الناس وخصوصاً زملاء المهنة الواحدة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم).
- طلاقة الوجه بشكل دائم لقوله صلى الله عليه وسلم: (تبسمك في وجه أخيك صدقة) وقوله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق).

التوجيه الفقهي لخلق المحبة المهنية :

المحبة خلق راقٍ ويمكن تلمسه في المهن الراجحة، والأصل أن الإنسان يختار من المهن ما يحبه ويركن إليه، غير أن كثيراً من الناس اليوم لم يعودوا يتجهون إلى ما يحبونه من المهن، بل إلى الأكثر دخلاً، مما أثر سلباً على خلق المحبة المهنية.

وما ذكرناه سابقاً في الطهارة المهنية وما بعدها يتكرر هنا ومن ثمَّ فلا داعي لإعادته مرة أخرى. بمعنى أن الحد الأدنى من المحبة المهنية ضرورية وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود، فإذاً نحن هنا سنتناول ما وراء ذلك.

- كما أن المحبة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، وكذلك لا شأن لنا بما وراء المهنة .

الأدلة في الحث على المحبة المهنية :

يدل لخلق المحبة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث نبوية كثيرة نذكر بعضها فيما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فقد امتدح الله الأنصار لاتصافهم بخلق المحبة والإيثار، فعلى الرغم من أن الله قدم ذكر المهاجرين على ذكرهم، وأعطاهم من الفضل والشرف أكثر مما أعطى الأنصار، فإنهم لم يتأثروا بذلك، ولم تستطع دوافع الغيرة والأنانية التأثير على نفوسهم الطيبة الزكية، فسجل الله لهم تلك الصفة الخلقية الراقية.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فالآية تثني على المحسنين، والإحسان من خلق المحبة المهنية.
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا يوما جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: (يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة). قال: فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من ماء وضوئه قد علق نعليه في يده بشماله فسلم فلما كان من الغد قال النبي صلى الله عليه و سلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما كان اليوم الثالث قال صلى الله عليه و سلم مثل مقالته فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي صلى الله عليه و سلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك ثلاثا حتى تمضي الثلاثة الأيام فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار أو قال انقلب على فراشه ذكر الله عز و جل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله بن عمرو غيره أني لم أسمعه إلا خيرا فلما مضت الثلاث الليالي كدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجر ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي بك فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي على مسلم غشا ولا أحسد على خير أعطاه الله عز و جل إياه قال

عبد الله قلت هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق). فهذا الرجل لم يقد مزيداً من العبادات بمعناها الخاص من مثل الصلاة والصيام ونحوها، بل سلامة الصدر من الغش والحسد ونحوه، وهذه من أخلاق المحبة المهنية.

۞ مظاهر المحبة المهنية :

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال المحبة الخلقية نشير هنا إلى بعض منها :

❖ استئذان المرؤوس من الرئيس في المهنة :

اتفق الفقهاء على أن الاستئذان من الرئيس في المهنة مطلوب، ولا شك أن ذلك من خلق اللياقة المهنية، ومن شأنه أن يحقق وينمي المحبة بين الرئيس ومرؤوسيه، وأن عدم الاستئذان وتجاهل المسؤول نوع من الكبر، ويؤدي إلى التنافر والتباغض، ومن فقد وجدنا الإسلام يعلم المسلمين هذا الخلق الرفيع في أكثر من موضع، من ذلك قول الله تعالى في الحث على الاستئذان بصفة عامة: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] وفي الحث على الاستئذان من الرئيس خاصة يقول الله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] ودلالة الآية على أدب الاستئذان واضحة جلية، لا نظنها تحتاج توضيحاً أكثر أو تعليقاً.

❖ إفشاء السلام ورده :

أجمع الفقهاء على أن إلقاء السلام مندوب إليه شرعاً، وأما رده فواجب، لعموم قول الله سبحانه: [وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا] فقد طالبت الآية بالرد وجوباً ، وعلقت ذلك على حال إلقاء السلام ، ولم توجب الإلقاء ، كما أن الأحاديث الشريفة دلت على سنية إلقاء السلام ، من مثل قوله عليه الصلاة والسلام : (أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم). ولا شك أن إفشاء السلام عموماً من عوامل زرع المحبة بين الناس، فكان مطلوباً شرعاً.

❖ الإحسان إلى زميل المهنة :

والإحسان يتحقق من خلال خلق الإيثار والرحمة، والأصل في ذلك قول الله تبارك وتعالى: [وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا] ، والجار ذي القربى من كان بينه وبينك قرابة نسبية، وقيل زوجية. والجار الجنب هو الذي لا تربطهما ببعضهما صلة قرابة، وقيل: الرفيق في السفر، أو الجار الكافر. وزميل المهنة لا يقل منزلة عن الجار الجنب بحال من الأحوال. يقول الغزالي رحمه الله: "جملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح

إلى عوراته ، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ، ولا في مصب الماء في ميزابه ، ولا في مطرح التراب في فنائه ، ولا يضيق طرقه إلى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاما، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين".

المحاضرة الرابعة عشر : نماذج من مواثيق الشرف أو المهنة

ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم :

يحوي الميثاق على ...

مقدمة

المادة الأولى : يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني الموضحة قرين كل منها.

المادة الثانية : أهداف الميثاق.

المادة الثالثة : رسالة التعليم.

المادة الرابعة : المعلم وأداؤه المهني.

المادة الخامسة : المعلم وطلابه.

المادة السادسة : المعلم والمجتمع.

المادة السابعة : المعلم والمجتمع المدرسي.

المادة الثامنة : المعلم والأسرة.

مقدمة :

تعد مهنة التعليم رسالة رفيعة الشأن عالية المنزلة تحظى باهتمام الجميع، لما لها من تأثير عظيم في حاضر الأمة ومستقبلها، ويتجلى سمو هذه المهنة ورفعتها في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها المسلكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء. وبديهي أن تستمد الأمم والمجتمعات أخلاقيات المهنة من قيمها ومقوماتها، ونحن بفضل الله نستمد أخلاقيات هذه المهنة من عقيدتنا الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا ومعلمنا في هذا الشأن {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ... }الآية. إن هذا الميثاق يتضمن ما يشعر به كل معلم أنه يتعين عليه مراعاته في أدائه لرسالته، وقيامه بعمله قبل أبنائه الطلاب وزملائه العاملين في الميدان التربوي، وقبل الوطن بوجه عام، والأمة التي ينتمي إليها بوجه أعم والإنسانية جمعاء، فالمعلم الناجح هو الذي يأسر قلوب طلابه بلطفه، وحسن خلقه، وحبه لهم، وحنوه عليهم وينال إعجابهم واحترامهم بتمكنه من مادته التي يعلمها، وببراعة إيصالها إليهم، والمعلم المحب لعمله يخلص له، ويجد المتعة فيه، وتهون عليه الصعاب والطالب يحب معلمه ويحترمه لما يجد فيه من قدوة حسنة، وعلم راسخ وحكمة ورفق،

المادة الأولى :

يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني الموضحة قرين كل منها .

- أخلاقيات مهنة التعليم : السجايا الحميدة والسلوكيات الفاضلة التي يتعين أن يتحلى بها العاملون في حقل التعليم العام فكراً وسلوكاً أمام الله ثم أمام ولاة الأمر وأمام أنفسهم والآخرين، وترتب عليهم واجبات أخلاقية.
- المعلم : المعلم والمعلمة والقائمون والقائمات على العملية التربوية من مشرفين ومشرفات ومديرين ومديرات ومرشدين ومرشدات ونحوهم.
- الطالب : الطالب والطالبة في مدارس التعليم العام وما في مستواها .

المادة الثانية : أهداف الميثاق .

يهدف الميثاق إلى تعزيز انتماء المعلم لرسالته ومهنته، والارتقاء بها والإسهام في تطوير المجتمع الذي يعيش فيه وتقدمه، وتحبيبه لطلابه وشدهم إليه، والإفادة منه وذلك من خلال الآتي :

١- توعية المعلم بأهمية المهنة ودورها في بناء مستقبل وطنه.

٢- الإسهام في تعزيز مكانة المعلم العلمية والاجتماعية.

٣- حفز المعلم على أن يتمثل قيم مهنته وأخلاقها سلوكاً في حياته.

المادة الثالثة : رسالة التعليم :

١. التعليم رسالة تستمد أخلاقياتها من هدي شريعتنا ومبادئ حضارتنا، وتوجب على القائمين بها أداء حق الانتماء إليها إخلاصاً في العمل، وصدقاً مع النفس والناس، وعطاءً مستمراً لنشر العلم وفضائله.

٢. المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ويؤمن بأهميتها، ويؤدي حقها بمهنية عالية.

٣. اعتزاز المعلم بمهنته وإدراكه المستمر لرسالته يدعوانه إلى الحرص على نقاء السيرة وطهارة السريرة ، حفاظاً على شرف مهنة التعليم.

المادة الرابعة : المعلم وأداؤه المهني :

١. المعلم مثال للمسلم المعتز بدينه المتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله ، وسطياً في تعاملاته وأحكامه .

٢. المعلم يدرك أن النمو المهني واجب أساس، والثقافة الذاتية المستمرة منهج في حياته، يطور نفسه وينمي معارفه منتفعاً بكل جديد في مجال تخصصه، وفنون التدريس ومهاراته .

٣. يدرك المعلم أن الاستقامة والصدق، والأمانة ، والحلم ، والحزم ، والانضباط ، والتسامح ، وحسن المظهر ، وبشاشة الوجه ، سمات رئيسة في تكوين شخصيته .

٤. المعلم يدرك أن الرقيب الحقيقي على سلوكه، بعد الله سبحانه وتعالى، هو ضمير يقظ وحسن ناقد، وأن الرقابة الخارجية مهما تنوعت أساليبها لا ترقى إلى الرقابة الذاتية، لذلك يسعى المعلم بكل وسيلة متاحة إلى بث هذه الروح بين طلابه ومجتمعه، ويضرب المثل والقدوة في التمسك بها.

٥. يسهم المعلم في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الطلاب، وغرس أهمية مبدأ الاعتدال والتسامح والتعايش بعيداً عن الغلو والتطرف.

المادة الخامسة : المعلم وطلابه :

١. العلاقة بين المعلم وطلابه، والمعلمة وطالباتها لحمتها الرغبة في نفعهم، وسداها الشفقة عليهم والبر بهم، أساسها المودة الحانية، وحارسها الحزم الضروري، وهدفها تحقيق خيريّ الدنيا والآخرة للجيل المأمول للنهضة والتقدم.

٢. المعلم قدوة لطلابه خاصة، وللمجتمع عامة، وهو حريص على أن يكون أثره في الناس حميداً باقياً، لذلك فهو يستمسك بالقيم الأخلاقية، والمثل العليا ويدعو إليها وينشرها بين طلابه والناس كافة، ويعمل على شيوعها واحترامها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٣. يحسن المعلم الظن بطلابه ويعلمهم أن يكونوا كذلك في حياتهم العامة والخاصة ليلتمسوا العذر لغيرهم قبل التماس الخطأ ويروا عيوب أنفسهم قبل رؤية عيوب الآخرين.

٤. المعلم أحرص الناس على نفع طلابه، يبذل جهده كله في تعليمهم، وتربيتهم، وتوجيههم، يدلهم على طريق الخير ويرغبهم فيه ويبين لهم الشر ويذودهم عنه، في رعاية متكاملة لنموهم دينياً وعلمياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وصحياً.

المادة السادسة : المعلم والمجتمع :

١. يعزز المعلم لدى الطلاب الإحساس بالانتماء لدينه ووطنه، كما ينمي لديهم أهمية التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها.

٢. المعلم أمين على كيان الوطن ووحدته وتعاون أبنائه، يعمل جاهداً لتسود المحبة المثمرة والاحترام الصادق بين الموطنين جميعاً وبينهم وبين ولي الأمر منهم، تحقيقاً لأمن الوطن واستقراره، وتمكيناً لنمائه وازدهاره، وحرصاً على سمعته ومكانته بين المجتمعات الإنسانية الراقية.

٣. المعلم موضع تقدير المجتمع، واحترامه، وثقته، وهو لذلك حريص على أن يكون في مستوى هذه الثقاة، وذلك التقدير والاحترام، ويحرص على إلا يؤثر عنه إلا ما يؤكد ثقة المجتمع به واحترامه له.

٤. المعلم عضو مؤثر في مجتمعه، تعلق عليه الآمال في التقدم المعرفي والارتقاء العلمي والإبداع الفكري والإسهام الحضاري ونشر هذه الشمائل الحميدة بين طلابه.

٥. المعلم صورة صادقة للمثقف المنتمي إلى دينه ووطنه، الأمر الذي يلزمه توسيع نطاق ثقافته، وتنويع مصادرها، ليكون قادراً علة تكوين رأي ناضج مبني على العلم والمعرفة والخبرة الواسعة يعين به طلابه على سعة الأفق ورؤية وجهات النظر المتباينة باعتبارها مكونات ثقافية تتكامل وتتعاون في بناء الحضارة الإنسانية.

المادة السابعة : المعلم والمجتمع المدرسي :

١. الثقة المتبادلة والعمل بروح الفريق الواحد هي أساس العلاقة بين المعلم وزملائه، وبين المعلمين والإدارة التربوية.
٢. يدرك المعلم أن احترام قواعد السلوك الوظيفي والالتزام بالأنظمة والتعليمات وتنفيذها والمشاركة الإيجابية في نشاطات المدرسة وفعالياتها المختلفة، أركان أساسية في تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية.

المادة الثامنة : المعلم والأسرة

١. المعلم شريك الوالدين في التربية والتنشئة فهو حريص على توطيد أواصر الثقة بين البيت والمدرسة.
٢. المعلم يعي أن التشاور مع الأسرة بشأن كل أمريهم مستقبل الطلاب أو يؤثر في مسيرتهم العلمية، وفي كل تغير يطرأ على سلوكهم، أمر بالغ النفع والأهمية.
٣. يؤدي العاملون في مهنة التعليم واجباتهم كافة ويصبغون سلوكهم كله بروح المبادئ التي تضمنتها هذه الأخلاقيات ويعملون على نشرها وترسيخها وتأصيلها والالتزام بها بين زملائهم وفي المجتمع بوجه عام.

تابع كنموذج ثاني

أخلاقيات المهنة في علم النفس / الميثاق الأخلاقي للأخصائي النفسي

تمهيد :

لكل مهنة - من المهن الهامة في المجتمع - أخلاقيات ومواثيق وقواعد ومبادئ تحكم قواعد العمل والسلوك فيها، وشروطه، وما ينبغي التزامه من جانب المتخصصين فيها، والممارسين لنشاطها. وهذا الميثاق الأخلاقي يعتبر دستورا تعاهديا بين المتخصصين، يلتزمون وفقا له بالسلوك الهادف إلى أداء مهني عال، يترفع عن الأخطاء، والتجاوزات الضارة بالمهنة، أو مشتغليها، أو بالإنسان الذي تستهدفه هذه الخدمة النفسية.

- ويكتسب هذا الدستور قوته واحترامه من قوة الالتزام الأدبي والإجماع الصادق على أهمية تنظيم هذه المهنة من جانب العاملين فيها.
- ونقصد بالعاملين في الخدمة النفسية، والذين سوف يشار إليهم في هذا الميثاق بـ " الأخصائي النفسي " ما يلي : الحاصلون على البكالوريوس، أو الدبلوم، أو الماجستير، أو الدكتوراة في علم النفس، ويعملون في تخصصهم ، وعلى جميع من ينطبق عليهم هذا الاصطلاح التمسك بهذا الميثاق، وتوعية الآخرين به.
- نظرا لأن عمل الأخصائي النفسي متشعب ومتنوع، فيجب أخذ ما ورد في هذا الميثاق كوحدة متكاملة يضاف بعضها إلى بعض، كما أن تخصيص مجالات معينة في هذا الميثاق، يعنى الالتزام بها من جانب الأخصائي حين يمارس نشاطا، يندرج تحت هذه المجالات.
- ويوصي هذا الميثاق بضرورة توعية طالب علم النفس، قبل التخرج في الجامعة، ببنود هذا الميثاق ومبادئه.
- كما نوصى أصحاب المهن والهيئات، التي تقدم خدمات معاونة للخدمة النفسية؛ كالأطباء النفسين، والأخصائيين الاجتماعيين، والمعلمين، وغيرهم، أو ممن يشاركون في تقديم الخدمات النفسية، باحترام مبادئ هذا الميثاق وروحه كأساس لاستمرار التعاون بينهم وبين الأخصائيين النفسيين .

مبادئ عامة :

١ : الأخصائي النفسي يكون مظهره العام معتدلا، بعيدا عن المظهرية والإبهار، محترما في مظهره، ملتزما بحميد السلوك والآداب.

٢ : يلتزم الأخصائي النفسي بصالح العميل(١) ورفاهيته، ويتحاشى كل ما يتسبب، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في الإضرار به.

٣ : يسعى الأخصائي النفسي إلى إفادة المجتمع، ومراعاة الصالح العام، والشرائع السماوية، والدستور، والقانون.

٤ : على الأخصائي النفسي أن يكون متحررا من كل أشكال وأنواع التعصب الديني أو الطائفي ، وأشكال التعصب الأخرى؛ سواء للجنس، أو السن، أو العرق، أو اللون.

٥ : يحترم الأخصائي النفسي في عمله حقوق الآخرين في اعتناق القيم و الاتجاهات والآراء التي تختلف عما يعتنقه، ولا يتورط في أية تفرقة على أساسها .